

# مَوْقِعُ جَامِعَةِ مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ

[www.menhag-un.com](http://www.menhag-un.com)

يَقْدَمُ:

(المُحَاضِرَةُ السَّابِعَةُ)

مِنْ مَادَّةِ

صَلَّى اللهُ  
عَلَيْهِ  
وَسَلَّمَ

سِيْرَةُ النَّبِيِّ ﷺ

[العَهْدُ الْمَكِّيُّ - ج ٢]

[www.menhag-un.com](http://www.menhag-un.com)



الْمُجَاهِرُونَ بِالظُّلْمِ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَلِكُلِّ مَنْ آمَنَ بِهِ

أَمَّا الْمُجَاهِرُونَ بِالظُّلْمِ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَكَذَلِكَ لِكُلِّ مَنْ آمَنَ بِهِ فَهُمْ:

عَمُّهُ أَبُو لَهَبٍ، وَابْنُ عَمِّهِ أَبُو سُفْيَانَ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَعْتَبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ، وَشَيْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ، وَعَقْبَةُ بْنُ أَبِي مُعَيْطٍ، وَأَبُو سُفْيَانَ بْنِ حَرْبٍ، وَالْحَكَمُ بْنُ أَبِي الْعَاصِ، وَالنَّضْرُ بْنُ الْحَارِثِ، وَأَبُو الْبَخْتَرِيِّ بْنُ الْعَاصِ بْنِ هِشَامٍ، وَأَبُو جَهْلٍ بْنُ هِشَامٍ، وَالْوَلِيدُ بْنُ الْمُغِيرَةَ، وَالْعَاصُ بْنُ الْمُغِيرَةَ، وَالْعَاصُ بْنُ وَاثِلٍ، وَأُمَيَّةُ بْنُ خَلْفٍ، وَأَبِيُّ بْنُ خَلْفٍ، وَالْأَسْوَدُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بْنِ أَسَدٍ، وَالْأَسْوَدُ بْنُ عَبْدِ يَعُوثَ.

وَقَدْ آمَنَ مَنْ هُوَ لَاءٍ مِنْ آمَنَ بِاللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَحَسَنَ إِسْلَامُهُ كَابْنِ عَمِّ النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ أَبُو سُفْيَانَ بْنِ الْحَارِثِ، وَكَذَلِكَ أَبُو سُفْيَانَ بْنِ حَرْبٍ، وَالْحَكَمُ بْنُ أَبِي الْعَاصِ بْنِ أُمَيَّةَ، فَهَؤُلَاءِ أَسْلَمُوا وَحَسَنَ إِسْلَامُهُمْ، وَهَؤُلَاءِ كَانُوا أَشَدَّ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ مُثَابَرَةً بِالْأَذَى وَمَعَهُمْ سَائِرُ قُرَيْشٍ، فَمِنْهُمْ مَنْ يُعَذِّبُونَ مَنْ لَا مَنَعَةَ لَهُ وَلَا جِوَارَ فِي قَوْمِهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُؤْذُونَ.

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: «وَكَانَ أَبُو جَهْلٍ الْفَاسِقُ الَّذِي يُغْرِي بِهِمْ فِي رِجَالٍ مِنْ قُرَيْشٍ إِذَا سَمِعَ بِالرَّجُلِ قَدْ أَسْلَمَ لَهُ شَرَفٌ وَمَنَعَةٌ أَنَبَهُ وَأَخْزَاهُ، وَقَالَ: تَرَكْتُ دِينَ أَبِيكَ وَهُوَ خَيْرٌ مِنْكَ لِنُسْفِهِنَّ حِلْمَكَ، وَلِنَفِيلَنَّ رَأْيِكَ، وَلِنَضَعَنَّ شَرَفَكَ،

وَإِنْ كَانَ تاجرًا قَالَ: وَاللَّهِ لَنُكْسِدَنَّ تِجَارَتَكَ، وَلَنُهْلِكَنَّ مَالَكَ، وَإِنْ كَانَ ضَعِيفًا ضَرَبَهُ وَأَغْرَى بِهِ.

فَالصُّورَةُ الدُّهْنِيَّةُ الْمَرْدُودَةُ عَنْ مُحَارَبَةِ قُرَيْشٍ لِلدَّعْوَةِ فِيهَا قُصُورٌ وَاضِحٌ، لِأَنَّ كَثِيرًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ يَحْسِبُونَ أَنَّ ذَلِكَ إِنَّمَا كَانَ يَسِيرَ خَبْطِ عَشَوَاءَ، وَلَمْ يَكُنْ مَدْرُوسًا وَلَا مُنْظَمًا، وَلَكِنْ تَأَمَّلْ!! إِذَا كَانَ لَهُ شَرَفٌ فَإِنَّهُ يَهْدِيهِ مِنْ هَذِهِ الْبَابَةِ، وَإِذَا كَانَتْ لَهُ تِجَارَةٌ هَدِيَهُ مِنْ بَابٍ أُخْرَى: لَنُكْسِدَنَّ تِجَارَتَكَ، وَلَنُهْلِكَنَّ مَالَكَ.. وَإِنْ كَانَ ضَعِيفًا ضَرَبَهُ وَأَغْرَى بِهِ.

وَقَدْ رَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ، وَابْنُ مَاجَةَ بِسَنَدٍ حَسَنٍ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «كَانَ أَوَّلَ مَنْ أَظْهَرَ إِسْلَامَهُ سَبْعَةٌ: رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَأَبُو بَكْرٍ، وَعَمَارٌ، وَأُمُّهُ سَمِيَّةٌ، وَصُهَيْبٌ، وَبِلَالٌ، وَالْمِقْدَادُ، فَأَمَّا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَمَنْعَهُ اللَّهُ عِبَادَةَ بَعْمَةِ أَبِي طَالِبٍ، وَأَمَّا أَبُو بَكْرٍ فَمَنْعَهُ اللَّهُ بِقَوْمِهِ، وَأَمَّا سَائِرُهُمْ فَأَخَذَهُمُ الْمُشْرِكُونَ، وَأَلْبَسُوهُمْ أَدْرَعَ الْحَدِيدِ، وَصَهَرُواهُمْ فِي الشَّمْسِ، فَمَا مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَقَدَّ وَاتَاهُمْ [أَي] وَافَقَهُمْ عَلَى مَا أَرَادُوا، إِلَّا بِلَالًا فَإِنَّهُ هَانَتْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ فِي اللَّهِ، وَهَانَ عَلَى قَوْمِهِ، فَأَخَذُوهُ، فَأَعْطَوْهُ الْوِلْدَانَ، فَجَعَلُوا يَطُوفُونَ بِهِ فِي شِعَابِ مَكَّةَ، وَهُوَ يَقُولُ: أَحَدٌ أَحَدٌ.

وَأَوَّلَ شَهِيدَةٍ ضَحَّتْ بِنَفْسِهَا تَحْتَ التَّعْذِيبِ وَكَانَتْ مَوْلَاةً تُسَمَّى زَيْنَرَةَ، فَقَدَّتْ بَصَرَهَا مِنْ شِدَّةِ التَّعْذِيبِ، فَقَالَ لَهَا الْمُشْرِكُونَ: مَا أَذْهَبَ بَصَرَهَا إِلَّا اللَّاتُ وَالْعُزَّى، فَقَالَتْ: كَذَبُوا وَبَيَّتِ اللَّهُ!! مَا تَضُرُّ اللَّاتُ وَالْعُزَّى وَمَا تَنْفَعَانِ! فَرَدَّ اللَّهُ بَصَرَهَا.

وَأَمَّا أُمُّ شَرِيكَ فَحِينَ أَسْلَمَ زَوْجُهَا وَهَاجَرَ، جَاءَهَا أَهْلُ زَوْجِهَا وَسَأَلُوهَا إِنْ كَانَتْ عَلَى دِينِهِ؟ فَلَمَّا أَقْرَتْ بِإِسْلَامِهَا أَجْمَعُوا عَلَى تَعْدِيهَا، فَأَطَعُمُوهَا خُبْزًا وَعَسَلًا، وَمَنَعُوا عَنْهَا الْمَاءَ، وَتَرَكُوهَا فِي الشَّمْسِ حَتَّى ذَهَبَ عَقْلُهَا وَسَمِعَهَا وَبَصَرُهَا، وَكَرَّرُوا ذَلِكَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، وَفِي الْيَوْمِ الثَّلَاثِ طَلَبُوا مِنْهَا تَرْكَ دِينِهَا فَلَمْ تَفْعَلْ غَيْرَ الْإِشَارَةِ بِأُصْبُعِهَا بِالتَّوْحِيدِ، وَلَا تَعِي مَا يَقُولُونَ مِنْ شِدَّةِ الْإِغْمَاءِ، وَفِيمَا هِيَ عَلَى هَذِهِ الْحَالِ أَكْرَمَهَا اللَّهُ بِدَلْوِ مَاءٍ نَزَلَ إِلَيْ فِيهَا، فَشَرِبَتْ مِنْهُ، فَكَانَ ذَلِكَ سَبَبًا فِي إِسْلَامِ أَهْلِ زَوْجِهَا.

وَقَدْ عَذَّبَ أَيْضًا الْأَشْرَافُ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ وَمِنْ قُرَيْشٍ، كَانَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ رضي عنه يَأْخُذُهُ عَمُّهُ الْحَكَمُ بْنُ أَبِي الْعَاصِ، فَيُوثِقُهُ رِبَاطًا وَيَقُولُ لَهُ: أَتَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ آبَائِكَ إِلَى دِينٍ مُحَدَّثٍ؟ وَاللَّهِ لَا أَحْلُكَ أَبَدًا حَتَّى تَدَعَ مَا أَنْتَ عَلَيْهِ مِنْ هَذَا الدِّينِ، فَيَقُولُ عُثْمَانُ رضي عنه: وَاللَّهِ لَا أَدْعُهُ أَبَدًا وَلَا أَفَارِقُهُ، فَلَمَّا رَأَى الْحَكَمُ صَلَابَتَهُ فِي دِينِهِ تَرَكَهُ.

وَكَذَلِكَ عَذَّبَ الزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَّامِ رضي عنه كَانَ عَمُّهُ يَأْخُذُهُ وَيُلْفُهُ فِي حَصِيرٍ وَيُدْخِنُ عَلَيْهِ بِالنَّارِ، وَيَقُولُ لَهُ: ارْجِعْ إِلَى الْكُفْرِ، فَيَقُولُ الزُّبَيْرُ رضي عنه: لَا أَكْفُرُ أَبَدًا.

وَعَذَّبَ مُضْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ رضي عنه، رَوَى ابْنُ سَعْدٍ فِي الطَّبَقَاتِ أَنَّ مُضْعَبَ بْنَ عُمَيْرٍ كَانَ فَتَى مَكَّةَ شَبَابًا وَجَمَالًا، وَكَانَا أَبَوَاهُ يُحِبَّانِيهِ، وَكَانَتْ أُمُّهُ مَلِيئَةً كَثِيرَةَ الْمَالِ تَكْسُوهُ أَحْسَنَ مَا يَكُونُ مِنَ الثِّيَابِ وَأَرْقَهَا، وَكَانَ أَعْطَرَ أَهْلِ مَكَّةَ - يَعْنِي قَالَ مِنْ وَصْفِ حَالِهِ: إِنَّهُ كَانَ إِذَا سَلَكَ طَرِيقًا فِي مَكَّةَ فَقَبَّلَ أَنْ يَظْهَرَ فِي طَرِيقِ

أَخْرَ يَسْتَدِلُّونَ بِعِطْرِهِ عَلَيْهِ - فَكَانَ أَعْطَرَ أَهْلِ مَكَّةَ، فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَذْكُرُهُ وَيَقُولُ: «مَا رَأَيْتُ بِمَكَّةَ أَحَدًا أَحْسَنَ لِمَةً، وَلَا أَرْقَّ حُلَّةً، وَلَا أَنْعَمَ نِعْمَةً مِنْ مُضْعَبِ بْنِ عُمَيْرٍ».

اللِّمَّةُ - بِكَسْرِ اللَّامِ - هِيَ شَعْرُ الرَّأْسِ إِذَا كَانَ فَوْقَ الْوُفْرَةِ، فَالِنَّبِيُّ ﷺ يَصِفُ بَعْضَ حَالِهِ قَبْلَ أَنْ يَدْخُلَ فِي دِينِ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا: «مَا رَأَيْتُ بِمَكَّةَ أَحَدًا أَحْسَنَ لِمَةً، وَلَا أَرْقَّ حُلَّةً، وَلَا أَنْعَمَ نِعْمَةً مِنْ مُضْعَبِ بْنِ عُمَيْرٍ».

فَبَلَغَهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَدْعُو إِلَى الْإِسْلَامِ فِي دَارِ الْأَرْقَمِ بْنِ أَبِي الْأَرْقَمِ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ، فَاسْلَمَ وَصَدَّقَ بِهِ، وَخَرَجَ فَكَتَمَ إِسْلَامَهُ خَوْفًا مِنْ أُمِّهِ وَقَوْمِهِ فَكَانَ يَخْتَلِفُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ سِرًّا، فَبَصُرَ بِهِ عُثْمَانُ بْنُ طَلْحَةَ يُصَلِّي، فَأَخْبَرَ أُمَّهُ وَقَوْمَهُ؛ فَأَخَذُوهُ فَحَبَسُوهُ فَلَمْ يَزَلْ مَحْبُوسًا حَتَّى خَرَجَ إِلَى أَرْضِ الْحَبَشَةِ فِي الْهِجْرَةِ الْأُولَى، ثُمَّ رَجَعَ مَعَ الْمُسْلِمِينَ حِينَ رَجَعُوا فَرَجَعَ مُتَغَيِّرَ الْحَالِ، قَدْ حَرَجَ - يَعْنِي غَلِظَ - فَكَفَّتْ أُمُّهُ عَنْهُ. وَسَيَّأَتِي مَزِيدُ بَيَانِ لِحَالِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عِنْدَ ذِكْرِ جِهَادِهِ وَهِجْرَتِهِ إِلَى مَدِينَةِ النَّبِيِّ ﷺ قَبْلَ أَنْ يَهَاجِرَ الرَّسُولُ ﷺ مِنْ أَجْلِ أَنْ يَدْعُوهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ، وَأَنْ يُعَلِّمَهُمُ الشَّرِيعَةَ وَالْأَحْكَامَ.

وَمِنَ الَّذِينَ عُدُّبُوا امْرَأَةٌ يُقَالُ لَهَا النَّهْدِيَّةُ وَبِنْتُهَا وَكَانَتْ لَامْرَأَةٍ مِنْ بَنِي عَبْدِ الدَّارِ، فَمَرَّ بِهِمَا أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَقَدْ بَعَثَتْهُمَا سَيِّدَتُهُمَا بِطَحِينٍ لَهَا، وَهِيَ تَقُولُ: وَاللَّهِ لَا أُعْتِقُكُمْ أَبَدًا، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: حِلٌّ يَا أُمَّ فُلَانٍ. أَيُّ تَحَلَّلِي مِنْ يَمِينِكَ يَا أُمَّ فُلَانٍ، فَقَالَتْ: حِلٌّ أَنْتَ أَنْتَ أَفْسَدْتَهُمَا فَأَعْتَقْتَهُمَا، قَالَ: قَدْ ابْتَعْتَهُمَا وَهُمَا حُرَّتَانِ.

كَذَلِكَ عَذَّبَ سَعِيدُ بْنُ زَيْدٍ، وَكَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رضي الله عنه قَبْلَ أَنْ يُسْلِمَ  
يُوثِقُ سَعِيدَ بْنَ زَيْدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ نَفِيلٍ رضي الله عنه، وَهُوَ ابْنُ عَمِّهِ وَزَوْجُ أُخْتِهِ،  
وَيُعَذِّبُهُ عَلَى إِسْلَامِهِ.

رَوَى الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ فِي «صَحِيحِهِ» عَنْ سَعِيدِ بْنِ زَيْدٍ رضي الله عنه قَالَ: وَاللَّهِ لَقَدْ  
رَأَيْتُنِي، وَإِنَّ عُمَرَ لَمُوثِقِي أَيُّ مُقِيدِي وَرَابِطِي عَلَى الْإِسْلَامِ قَبْلَ أَنْ يُسْلِمَ عُمَرُ،  
وَكَانَ عُمَرُ رضي الله عنه قَبْلَ إِسْلَامِهِ شَدِيدًا عَلَى الْمُسْلِمِينَ، حَتَّى إِنْ أُمَّ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَتَمَةَ،  
وَكَانَتْ قَدْ أَجْمَعَتْ عَلَى الْهَجْرَةِ مَعَ زَوْجِهَا مَرَّ بِهَا عُمَرُ رضي الله عنه وَهِيَ تُعِدُّ الْعِدَّةَ مِنْ  
أَجْلِ الْهَجْرَةِ وَالرَّحِيلِ، فَقَالَ: أَهْوِ الْفِرَاقُ يَا أُمَّ عَبْدِ اللَّهِ؟ قَالَتْ: نَعَمْ أَذَيْتُمُونَا  
وَاضْطَهَدْتُمُونَا وَضَرَبْتُمُونَا، فَقَالَ: صَاحَبْتِكُمُ السَّلَامَةَ يَا أُمَّ عَبْدِ اللَّهِ. وَوَجَدْتُ مِنْهُ  
رَقَّةً، فَلَمَّا جَاءَ زَوْجُهَا أَخْبَرْتُهُ بِالَّذِي وَقَعَ وَبِمَا قَالَ عُمَرُ، فَقَالَ زَوْجُهَا: كَأَنَّكَ  
طَمَعْتَ فِي إِسْلَامِهِ قَالَتْ: نَعَمْ. قَالَ: وَاللَّهِ لَا يُسْلِمُ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ حَتَّى يُسْلِمَ  
حِمَارُ الْخَطَّابِ، وَمَعَ ذَلِكَ فَقَدْ صَارَ الرَّجُلُ الثَّانِي بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ.

فَالْبَابُ مَفْتُوحٌ لِكُلِّ مَنْ تَوَرَّطَ لِكُلِّ مَنْ آذَى لِكُلِّ مَنْ وَقَعَ مِنْهُ مَا لَا يَجْمُلُ،  
الْبَابُ مَفْتُوحٌ، بَلْ إِنْ الدَّرَجَ نَفْسَهُ مَهِيًّا مِنْ أَجْلِ الصُّعُودِ إِلَى الْكَمَالَاتِ فَهَذَا عُمَرُ  
أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ، وَوَزِيرُ رَسُولِ اللَّهِ صلوات الله عليه وآله الثَّانِي، وَسَيَأْتِي مَزِيدٌ بَيَانٍ لِدَلِيلِكَ عِنْدَ قِصَّةِ  
إِسْلَامِهِ رضي الله عنه.

كَذَلِكَ مَا كَانَ مِنْ تَعَذِيبِ جَارِيَةِ بَنِي مُؤَمَّلٍ مِنَ الَّذِينَ عَذَّبُوا هُوَلَاءِ  
الْمُسْتَضْعَفِينَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رضي الله عنه فَهُوَ الَّذِي كَانَ يُعَذِّبُ هَذِهِ الْجَارِيَةَ، وَبَنُو

مُوَمَّلٌ حَيٌّ مِنْ بَنِي عَدِيِّ بْنِ كَعْبٍ، كَانَ الَّذِي يُعَذِّبُهَا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رضي الله عنه،  
وَكَانَ عَلَى الشَّرْكِ، فَيُعَذِّبُهَا حَتَّى يَمَلَّ فَيَقُولُ لَهَا: إِنِّي أَعْتَذِرُ إِلَيْكَ، إِنِّي لَمْ أَتْرُكْ  
إِلَّا مَلَالَةً، فَتَقُولُ رضي الله عنها: كَذَلِكَ فَعَلَ اللَّهُ بِكَ.

وَأَمَّا تَعْذِيبُ بِلَالِ بْنِ رَبَاحٍ، فَإِنَّهُ كَانَ مَوْلَى لِبَعْضِ بَنِي جَمَحٍ يُخْرِجُهُ سَيِّدُهُ  
أُمَيَّةُ بْنُ خَلْفٍ - لَعَنَهُ اللَّهُ - إِذَا حَمَيْتِ الشَّمْسُ وَقَتِ الظَّهِيرَةَ فَيَطْرَحُهُ عَلَى ظَهْرِهِ  
فِي بَطْحَاءِ مَكَّةَ، ثُمَّ يَأْمُرُهُ أَوْ يَأْمُرُ بِالصَّخْرَةِ الْعَظِيمَةِ فَتَوْضِعُ عَلَى صَدْرِهِ، ثُمَّ يَقُولُ  
لَهُ: لَا تَرَأَلْ هَكَذَا حَتَّى تَمُوتَ أَوْ تَكْفُرَ بِمُحَمَّدٍ، وَتَعْبُدَ اللَّاتَ وَالْعَزَى فَيَقُولُ وَهُوَ  
فِي ذَلِكَ الْبَلَاءِ: أَحَدٌ أَحَدٌ.

عِنْدَمَا يَكُونُ هَذَا مَحْضَ كَلَامٍ تَسْمَعُهُ فَإِنَّكَ لَا تُحْسِبُ بِهِ لِأَنَّكَ لَا تَتَصَوَّرُهُ،  
لِأَنَّهُ لَمْ يَتَعَدَّ الْمَرَحَلَةَ الذَّهْنِيَّةَ لَمْ يَصِلْ عِنْدَكَ بَعْدَ إِلَى الْمَرَحَلَةِ الْوِجْدَانِيَّةِ يَعْنِي  
أَنْتَ لَا تَتَفَعَّلُ بِهِ، وَإِنَّمَا تَسْمَعُهُ عَقْلًا لَا عَاطِفَةً، وَلَكِنْ تَصَوَّرَ نَفْسَكَ الْآنَ فِي  
حَرِّ الشَّمْسِ - نَسَأَلُ اللَّهَ أَنْ يُعَافِينَا جَمِيعًا مِنَ الْبَلَاءِ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الْكَرِيمُ وَالْجَوَادُ  
الرَّحِيمُ - تَصَوَّرَ مَنْ يُؤْخَذُ هَكَذَا عَارِيًّا أَوْ شِبْهَ عَارٍ لَيْسَ هُنَالِكَ إِلَّا مَا يَسْتُرُ  
عَوْرَتَهُ، وَقَدْ طَرِحَ عَلَى الرِّمَالِ فِي حَرِّ الشَّمْسِ فِي الرَّمْضَاءِ، ثُمَّ جِيءَ بِالصَّخْرَةِ  
الْعَظِيمَةِ فَوُضِعَتْ عَلَى صَدْرِهِ، وَلَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَتَنَفَّسَ أَصْلًا يَتَنَفَّسَ رِمَالًا مِنْ  
غَيْرِ صَخْرَةٍ فَكَيْفَ يَتَنَفَّسُ وَالصَّخْرَةُ مَعَ هَذَا الْحَرِّ عَلَى صَدْرِهِ؟! لَرُبَّمَا كَانَ  
الْعَرَقُ مُغْرِقًا لَهُ، وَمَعَ ذَلِكَ لَا يَزِيدُ عَلَى أَنْ يَقُولَ: أَحَدٌ أَحَدٌ!! فَرَضِيَ اللَّهُ  
تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَنْهُ، تَشْغَلُهُ لَذَّةُ الْمُنَاجَاةِ عَنِ لَذَّةِ الْعَذَابِ، وَنَشْوَةُ الْأَمَلِ بِالْجَنَّةِ  
تَشْغَلُهُ عَنِ شَكْوَةِ الْأَلَمِ فِي الدُّنْيَا.

وَأَمَّا آلُ يَاسِرٍ رضي الله عنه، فَقَدْ نَالَهُمُ مِنْ ذَلِكَ الْقِدْحِ الْمُعَلَّى وَالنَّصِيبِ الْأَوْفَى،  
كَانَ عَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ وَأُمُّهُ وَأَبُوهُ رضي الله عنه مِنَ الْمُسْتَضْعَفِينَ الَّذِينَ يُعَذَّبُونَ بِمَكَّةَ  
لِيَرْجِعُوا عَنْ دِينِهِمْ، فَكَانَتْ بَنُو مَخْزُومٍ وَعَلَى رَأْسِهِمْ أَبُو جَهْلٍ -لَعَنَهُ اللَّهُ-  
يَخْرُجُونَ بِهِمْ إِلَى الْأَبْطَحِ إِذَا حَمَيْتِ الرَّمْضَاءُ، فَيُعَذَّبُونَهُمْ بِحَرْهَا فَمَرَّ بِهِمْ  
رَسُولُ اللَّهِ صلوات الله وسلاماته وَهُمْ يُعَذَّبُونَ فَقَالَ: «صَبْرًا آلُ يَاسِرٍ؛ فَإِنَّ مَوْعِدَكُمْ الْجَنَّةَ».

مَاتَ يَاسِرٌ فِي الْعَذَابِ، وَأَمَّا سُمَيَّةُ أُمُّ عَمَّارٍ طَعَنَهَا أَبُو جَهْلٍ -لَعَنَهُ اللَّهُ-  
بِحَرْبَةٍ فِي قُبُلِهَا فَمَاتَتْ، وَهِيَ أَوَّلُ شَهِيدَةٍ فِي الْإِسْلَامِ رضي الله عنها، وَأَمَّا عَمَّارٌ  
رضي الله عنه فَنَزَلَ عَلَيْهِ أَبُو جَهْلٍ بِالْعَذَابِ الشَّدِيدِ بِالْحَرْقِ تَارَةً وَبِالتَّغْرِيقِ تَارَةً  
أُخْرَى، وَلَمْ يَزَلْ الْمُشْرِكُونَ يُعَذَّبُونَهُ حَتَّى سَبَّ النَّبِيَّ صلوات الله وسلاماته، وَذَكَرَ آلَهُتَهُمْ  
بِخَيْرٍ فَتَرَكُوهُ، وَآتَى النَّبِيَّ صلوات الله وسلاماته وَهُوَ يَبْكِي، فَجَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ صلوات الله وسلاماته يَمْسَحُ عَنْ  
عَيْنَيْهِ وَيَقُولُ لَهُ: «مَا وَرَاءَكَ؟».

قَالَ: شَرُّيَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا تَرَكْتُ حَتَّى نَلْتُ مِنْكَ، وَذَكَرْتَ آلَهُتَهُمْ بِخَيْرٍ.

فَقَالَ لَهُ صلوات الله وسلاماته: «كَيْفَ تَجِدُ قَلْبَكَ؟».

قَالَ: مُطْمَئِنًّا بِالْإِيمَانِ.

فَقَالَ لَهُ صلوات الله وسلاماته: «إِنْ عَادُوا فَعُدُّ»، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ

بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾ [النحل: ١٠٦].

الْخَبْرُ أَخْرَجَهُ الْحَاكِمُ فِي «الْمُسْتَدْرَكِ» وَقَالَ: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى  
شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ وَلَمْ يُخْرِجَاهُ، وَأَقْرَهُ الذَّهَبِيُّ، وَأُورِدَهُ الْحَافِظُ فِي «الْفَتْحِ»، وَقَالَ:

هُوَ مُرْسَلٌ وَرِجَالُهُ ثِقَاتٌ، وَذَكَرَهُ مِنْ عِدَّةِ طُرُقٍ مُرْسَلَةً، وَقَالَ: وَهَذِهِ الْمَرَّاسِيلُ يُتَّقَوْنَ بَعْضُهَا بَعْضًا.

وَبَعِيدًا عَنْ سَبَبِ النَّزُولِ فَإِنَّ الْآيَةَ مُحْكَمَةٌ، قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «اتَّفَقَ الْعُلَمَاءُ عَلَى أَنَّهُ يَجُوزُ أَنْ يُوَالِيَ الْمُكْرَهَ عَلَى الْكُفْرِ إِبْقَاءً لِمُهْجَتِهِ، وَيَجُوزُ لَهُ أَنْ يَسْتَقْتَلَ كَمَا كَانَ بِلَالٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَأْتِي عَلَيْهِمْ ذَلِكَ وَهُمْ يَفْعَلُونَ بِهِ الْأَفَاعِيلَ حَتَّىٰ إِنَّهُمْ لَيَضْعُونَ الصَّخْرَةَ الْعَظِيمَةَ عَلَىٰ صَدْرِهِ فِي شِدَّةِ الْحَرِّ، وَيَأْمُرُونَهُ أَنْ يُشْرِكَ بِاللَّهِ فَيَأْتِي عَلَيْهِمْ وَهُوَ يَقُولُ: أَحَدٌ أَحَدٌ، وَيَقُولُ: وَاللَّهِ لَوْ أَعْلَمَ كَلِمَةً هِيَ أَعْظَمُ لَكُمْ مِنْهَا لَقُلْتُهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَكَذَلِكَ حَبِيبُ بْنُ زَيْدِ الْأَنْصَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لَمَّا قَالَ لَهُ مُسَيْلِمَةُ الْكَذَّابُ: أَتَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ.

فَيَقُولُ: أَتَشْهَدُ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ؟ فَيَقُولُ: لَا أَسْمَعُ.

فَلَمْ يَزَلْ يُقَطِّعُهُ إِرْبًا إِرْبًا وَهُوَ ثَابِتٌ عَلَىٰ ذَلِكَ حَتَّىٰ قَتَلَهُ.

ثُمَّ قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «وَالْأَفْضَلُ وَالْأَوْلَىٰ أَنْ يَثْبُتَ الْمُسْلِمُ عَلَىٰ دِينِهِ وَلَوْ أَفْضَىٰ إِلَىٰ قَتْلِهِ».

وَأَمَّا تَعْدِيبُ أَبِي فُكَيْهَةَ، فَقَدْ كَانَ بَنُو عَبْدِ الدَّارِ يُخْرِجُونَ أَبَا فُكَيْهَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ نِصْفَ النَّهَارِ فِي حَرِّ شَدِيدٍ، وَهُوَ مُقَيَّدٌ بِالْحَدِيدِ، فَيَبْطَحُونَهُ فِي الرَّمْضَاءِ، وَيَضْعُونَ الصَّخْرَةَ عَلَىٰ ظَهْرِهِ حَتَّىٰ لَا يَعْقِلُ فَلَمْ يَزَلْ كَذَلِكَ حَتَّىٰ هَاجَرَ إِلَىٰ الْحَبْشَةِ فِي الْهَجْرَةِ الثَّانِيَةِ.

وَمِنَ الَّذِينَ عَذَّبُوا خَالِدُ بْنُ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ رضي الله عنه، وَكَانَ يَلْزِمُ رَسُولَ اللَّهِ صلوات الله عليه، وَيُصَلِّي فِي نَوَاحِي مَكَّةَ خَالِيًّا، فَبَلَغَ ذَلِكَ أَبَا أُحِيحَةَ، فَدَعَاهُ، فَكَلَّمَهُ أَنْ يَدَعَ مَا هُوَ عَلَيْهِ، فَقَالَ خَالِدٌ: لَا أَدْعُ دِينَ مُحَمَّدٍ حَتَّى أَمُوتَ عَلَيْهِ، فَضْرَبَهُ أَبُو أُحِيحَةَ بِقِرَاعَةٍ فِي يَدِهِ، وَالْقِرَاعَةُ التُّرْسُ حَتَّى كَسَرَهَا عَلَى رَأْسِهِ ثُمَّ أَمَرَ بِهِ إِلَى الْحَبْسِ وَضَيَّقَ عَلَيْهِ وَأَجَاعَهُ وَأَعْطَشَهُ حَتَّى لَقِدَ مَكَثَ فِي حَرِّ مَكَّةَ ثَلَاثًا مَا يَذُوقُ مَاءً، فَرَأَى خَالِدٌ فُرْجَةً فَخَرَجَ، فَتَغَيَّبَ عَنْ أَبِيهِ فِي نَوَاحِي مَكَّةَ حَتَّى هَاجَرَ إِلَى الْحَبْشَةِ فِي الْهَجْرَةِ الثَّانِيَةِ.

وَمِنَ الصَّحَابَةِ الْمُسْتَضْعَفِينَ الَّذِينَ عَذَّبُوا فِي مَكَّةَ صُهَيْبُ بْنُ سِنَانِ الرَّومِي رضي الله عنه فَقَدْ رَوَى ابْنُ سَعْدٍ فِي طَبَقَاتِهِ عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ أَنَّهُ قَالَ: «كَانَ صُهَيْبُ بْنُ سِنَانٍ مِنَ الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ كَانُوا يُعَذَّبُونَ فِي اللَّهِ بِمَكَّةَ، وَقَدْ مَرَّ ذِكْرُ بَعْضٍ مِنَ الْوَأَنِ الْعَذَابِ الَّتِي وَقَعَتْ عَلَيْهِ رضي الله عنه.

أَمَّا سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ رضي الله عنه، فَإِنَّ أُمَّهُ حَلَفَتْ أَنْ لَا تُكَلِّمَهُ أَبَدًا حَتَّى يَكْفُرَ بِدِينِهِ، وَقَالَتْ لَهُ: زَعَمْتَ أَنَّ اللَّهَ أَوْصَاكَ بِوَالِدَيْكَ وَأَنَا أُمُّكَ وَأَنَا أَمْرُكَ بِهَذَا لِتَدَعَنَّ دِينَكَ هَذَا، أَوْ لَا أَكُلُ وَلَا أَشْرَبُ حَتَّى أَمُوتَ، فَتَعَيَّرَ بِي فَيَقَالُ: يَا قَاتِلَ أُمَّهِ!! فَقَالَ سَعْدُ رضي الله عنه: لَا تَفْعَلِي يَا أُمَّهُ فَإِنِّي لَا أَدْعُ دِينِي هَذَا لِشَيْءٍ، فَمَكَثَتْ ثَلَاثًا لَمْ تَأْكُلْ حَتَّى غَشِيَ عَلَيْهَا مِنَ الْجُهْدِ، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ سَعْدُ رضي الله عنه قَالَ: يَا أُمَّهُ، وَاللَّهِ لَوْ كَانَتْ لَكَ مِئَةٌ نَفْسٍ فَخَرَجَتْ نَفْسًا نَفْسًا مَا تَرَكْتُ دِينِي هَذَا لِشَيْءٍ فَإِنْ شِئْتَ فَكُلِي، وَإِنْ شِئْتَ لَا تَأْكُلِي، فَلَمَّا رَأَتْ مِنْهُ الْجِدَّ أَكَلَتْ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى:

﴿وَوَصَيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا﴾ [العنكبوت: ٨]، وَأَنْزَلَ قَوْلَهُ: ﴿وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ [لقمان: ١٥].

وَأَمَّا تَعْدِيبُ خَبَّابٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَهُوَ مِنْ أَشَدِّ مَا عَذَّبَ بِهِ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ عَنْ نَفْسِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لَقَدْ رَأَيْتَنِي يَوْمًا أَخَذُونِي فَأَوْقَدُوا لِي نَارًا، ثُمَّ سَلَخُونِي فِيهَا، سَلَخُوهُ أَيُّ: أَحْرَقُوهُ، ثُمَّ وَضَعَ رَجُلٌ رِجْلَهُ عَلَيَّ صَدْرِي فَمَا انْتَقَيْتُ الْأَرْضَ إِلَّا بِظَهْرِي، قَالَ: ثُمَّ كُشِفَ عَنْ ظَهْرِهِ فَإِذَا هُوَ قَدْ بَرَّصَ».

أَخْرَجَهُ ابْنُ مَاجَهَ وَإِسْنَادُهُ صَحِيحٌ، وَكَذَا أَخْرَجَهُ ابْنُ سَعْدٍ فِي «الطَّبَقَاتِ»، وَفِي رِوَايَةٍ «أَنَّهُمْ كَانُوا يُوقِدُونَ لَهُ نَارًا فَمَا يُطْفِئُهَا إِلَّا الْوَدُكُ الَّذِي يَسِيلُ مِنْ ظَهْرِهِ وَهُوَ دَسَمُ اللَّحْمِ وَدُهْنُهُ الَّذِي يَخْرُجُ مِنْهُ».

رَوَى الْإِمَامُ التِّرْمِذِيُّ فِي «جَامِعِهِ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَنْ حَارِثَةَ بْنِ مُضَرَّبٍ قَالَ: «دَخَلْتُ عَلَى خَبَّابٍ، وَقَدْ اِكْتَوَى فِي بَطْنِهِ، فَقَالَ: مَا أَعْلَمُ أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ لَقِيَ مِنَ الْبَلَاءِ مَا لَقِيتُ، وَلَمَّا مَرَّ عَلَيَّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَلَى قَبْرِهِ وَهُوَ مُنْصَرِفٌ مِنْ صِفِّينَ قَالَ: «رَحِمَ اللَّهُ خَبَّابًا أَسْلَمَ رَاغِبًا، وَهَاجَرَ طَائِعًا، وَعَاشَ مُجَاهِدًا، وَابْتُلِيَ فِي جِسْمِهِ أَحْوَالًا وَلَنْ يُضَيِّعَ اللَّهُ أَجْرَهُ».

قَائِمَةُ الْمُعَذِّبِينَ فِي اللَّهِ تَعَالَى طَوِيلَةٌ وَمُؤَلِّمَةٌ جِدًّا، فَمَا مِنْ أَحَدٍ عَلِمُوا بِإِسْلَامِهِ إِلَّا تَصَدَّوْا لَهُ وَآذَوْهُ، اِحْتَمَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ كُلَّ شَيْءٍ، الضَّرْبَ وَالْجِرْحَ وَالْحَرَقَ وَالْجُوعَ وَالسَّهَرَ، وَاسْتَحَلُّوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الْمَرَاتِرَ، وَاسْتَحَبُّوا بَعْضَ الْمَكَارِهِ إِلَى النُّفُوسِ إِنْ كَانَ ذَلِكَ فِي رِضَى اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا.

النَّبِيُّ ﷺ كَمَا مَرَّ لَمَّا زَادَ إِيْدَاؤُهُمْ فَخَرَجَ عَنْ كُلِّ مَنْطِقٍ وَعَقْلٍ، وَصَارَ إِيْدَاءً مَجْنُونًا لَا عَقْلَ فِيهِ دَعَا عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ؛ ذَكَرَ الْبَيْهَقِيُّ دُعَاءَ النَّبِيِّ ﷺ عَلَى قُرَيْشٍ حِينَ اسْتَعْصَتْ عَلَيْهِ بِسَبْعِ مِثْلِ سَبْعِ يُوسُفَ، إِنَّ قُرَيْشًا لَمَّا اسْتَعْصَتْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَأَبْطَأُوا عَنِ الْإِسْلَامِ قَالَ: «اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَيْهِمْ بِسَبْعِ كَسْبِ يُونُسَ» فَأَصَابَتْهُمْ سَنَةٌ حَتَّى حَصَّتْ كُلُّ شَيْءٍ أَيْ اسْتَأْصَلَتْ حَتَّى أَكَلُوا الْحَجِيفَ، وَحَتَّى إِذَا أَحَدُهُمْ كَانَ يَرَى مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ السَّمَاءِ كَهَيْئَةِ الدُّخَانِ مِنَ الْجُوعِ وَلَا دُخَانَ، ثُمَّ دَعَا فَكَشَفَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمْ، ثُمَّ قرَأَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ هَذِهِ الْآيَةَ ﴿إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ﴾ [الدخان: ١٥]. قَالَ: فَعَادُوا فَكَفَرُوا فَأُخِّرُوا إِلَى يَوْمِ بَدْرٍ، قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: «إِنَّ ذَلِكَ لَوْ كَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَانَ لَا يُكْشَفُ عَنْهُمْ ﴿إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ﴾ [الدخان: ١٥] ﴿يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى إِنَّا مُنْقِمُونَ﴾ [الدخان: ١٦]، قَالَ: بَلْ هُوَ يَوْمُ بَدْرٍ». وَفِي رِوَايَةٍ عَنْهُ قَالَ: «لَمَّا رَأَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنَ النَّاسِ إِدْبَارًا قَالَ: «اللَّهُمَّ سَبْعُ كَسْبِ يُونُسَ»، فَأَخَذَتْهُمْ سَنَةٌ حَتَّى أَكَلُوا الْمَيْتَةَ وَالْجُلُودَ وَالْعِظَامَ يَعْنِي قُرَيْشًا فَجَاءَهُ أَبُو سُفْيَانَ وَنَاسٌ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ فَقَالُوا: يَا مُحَمَّدُ إِنَّكَ تَزْعُمُ أَنَّكَ بُعِثْتَ رَحْمَةً، وَإِنَّ قَوْمَكَ قَدْ هَلَكُوا، فَادْعُ اللَّهَ تَعَالَى لَهُمْ. فَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَسُقُوا الْعَيْثَ فَأَطْبَقَتْ عَلَيْهِمْ سَبْعًا، فَشَكَّى النَّاسُ كَثْرَةَ الْمَطَرِ فَقَالَ: «اللَّهُمَّ حَوَالَيْنَا وَلَا عَلَيْنَا» فَنَحَسَرَتْ السَّحَابَةُ عَنْ رَأْسِهِ فَسُقِيَ النَّاسُ حَوْلَهُ، أَلَا يَدْعُوهُمْ هَذَا إِلَى الدُّخُولِ فِي الْإِسْلَامِ وَتَصَدِيقِهِ ﷺ؟

بَلْ ازْدَادُوا كُفْرًا قَالَ: «لَقَدْ مَضَتْ آيَةُ الدُّخَانِ»، وَهُوَ الْجُوعُ الَّذِي أَصَابَهُمْ، وَآيَةُ الرُّومِ وَالْبَطْشَةُ الْكُبْرَى، وَانْشِقَاقُ الْقَمَرِ، وَذَلِكَ كُلُّهُ فِي يَوْمِ بَدْرٍ.

فَالنَّبِيُّ ﷺ لَمَّا دَعَا عَلَيْهِمْ اسْتَجَابَ اللَّهُ لَهُ فِيهِمْ فَلَمْ يَجِدُوا إِلَّا أَنْ يَرْجِعُوا إِلَيْهِ مِنْ أَجْلِ أَنْ يَدْعُو لَهُمْ كَمَا دَعَا عَلَيْهِمْ.

إِذَنْ هُمْ عَلَى يَقِينٍ أَنَّ الَّذِي نَزَلَ بِهِمْ مِنَ الضَّرِّ إِنَّمَا كَانَ بِسَبَبِ إِجَابَةِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لِدَعْوَتِهِ، وَأَنَّهُ لَا يُكْشَفُ عَنْهُمْ مَا نَزَلَ بِهِمْ إِلَّا بِدُعَائِهِ ﷺ وَاسْتِجَابَةِ اللَّهِ تَعَالَى لَهُ.

جَاءَ أَبُو سُفْيَانَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَسْتَعِيثُ مِنَ الْجُوعِ؛ لِأَنَّهُمْ لَمْ يَجِدُوا شَيْئًا حَتَّى أَكَلُوا الْعِهْنَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَاؤُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَنْضَرَعُونَ﴾ [المؤمنون: ٧٦].

قَالَ: فَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى فَرَّجَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمْ، فَهَذَا لَوْنٌ مِمَّا كَانَ، وَاللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فَعَالَ لِمَا يُرِيدُ، وَالنَّبِيُّ ﷺ يَأْخُذُهُمْ مِنْ كُلِّ قَبِيلٍ عَسَى أَنْ يُسَلِّمُوا أَذِمَّةَ الْقُلُوبِ لِلْعَلِيمِ الْخَبِيرِ، وَأَنْ يَتَّبِعُوا الْبَشِيرَ النَّذِيرَ، فَمَرَّةً يَدْعُوهُمْ وَيَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ فَإِذَا بَلَغَ السَّيْلُ الزُّبْيَ وَجَاوَزَ الْمَاءَ الطُّبْيَ أَرَاهُمْ وَجْهًا آخَرَ فَدَعَا عَلَيْهِمْ رَجَاءً أَنْ يَأْخُذَهُمْ هَذَا وَيَأْخُذَ بِأَيْدِيهِمْ إِلَى الْإِيمَانِ وَإِلَى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ، فَمَا يَزِيدُهُمْ ذَلِكَ إِلَّا عِتْوًا.

هُم يَعْتَدُونَ عَلَى النَّبِيِّ الْمَأْمُونِ ﷺ وَيَعْتَدُونَ عَلَى السَّابِقِينَ الْأَوَّلِينَ، يُعَذِّبُونَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا كَمَا وَقَعَ لِبِلَالٍ مَثَلًا فِيَمَا ذَكَرَهُ الذَّهَبِيُّ، ثُمَّ يَأْتِي الْيَوْمَ أَقْوَامٌ يَقُولُونَ: كَيْفَ يَدْعُو عَلَيْهِمُ النَّبِيُّ؟ إِذَا مَا وَقَعَ لَوْنٌ مِنَ الْوَانِ الصَّدِّ، وَهُوَ

مَشْرُوعٌ عِنْدَ كُلِّ أَحَدٍ بِمَا يُسَمَّى بِالِدِّفَاعِ عَنِ النَّفْسِ - مَثَلًا - حَتَّى فِي الشَّرَائِعِ  
الَّتِي هِيَ لِقَوْمٍ مِنَ الْكَافِرِينَ، بَلْ مِنَ الْمُلْحِدِينَ، فَيَقْرُونَ ذَلِكَ وَيَقْرُرُونَهُ وَلَا  
يَعُدُّونَ ذَلِكَ شَيْئًا يَخْرُجُ عَلَى الْمَأْلُوفِ، وَلَا يُجَاوِزُ الرَّحْمَةَ، وَلَكِنْ إِنْ وَقَعَ مِنْ  
مُحَمَّدٍ أَوْ مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ أَوْ مِنْ أَتْبَاعِ مُحَمَّدٍ، فَهُوَ الْعَيْبُ كُلُّ الْعَيْبِ، وَهُوَ  
الْقَسْوَةُ وَالْوَحْشِيَّةُ وَالْعُنْفُ وَالْإِرْهَابُ وَمَا شَبَّهَتْ.

مَا السَّبَبُ؟

أَنْتُمْ.

هَلْ حَمَلْتُمْ الدِّينَ حَقَّ الْحَمْلِ فَبَيَّئْتُمُوهُ لِلنَّاسِ عَلَى وَجْهِ الَّذِي أَنْزَلَهُ اللَّهُ  
عَلَيْهِ؟!

لَوْ رَأَوْا ذَلِكَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ لَدَخَلُوا فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا؛ فَإِنَّ سُلُوكَ رَجُلٍ  
أَجْدَى لِأَلْفِ رَجُلٍ مِنْ كَلَامِ أَلْفِ رَجُلٍ لِرَجُلٍ.

أَمَّا أَنْ يَتَوَقَّفَ الْأَمْرُ عِنْدَ حَدِّ الْكَلَامِ مِنْ غَيْرِ عَمَلٍ!!

لِمَ لَمْ تُطَبِّقُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ؟!!

أَنْتُمْ تَدْعُونَ إِلَى تَطْبِيقِ الشَّرِيعَةِ.. لَا أَعْنِيكُمْ!

الَّذِينَ يَتَشَدَّقُونَ بِذَلِكَ يَدْعُونَ إِلَى تَطْبِيقِ الشَّرِيعَةِ بِمُخَالَفَةِ الشَّرِيعَةِ، لِأَنَّ  
الْغَايَةَ عِنْدَنَا فِي الْإِسْلَامِ مُنْضَبِطَةٌ، وَالْوَسِيلَةُ إِلَى الْغَايَةِ مُنْضَبِطَةٌ أَنْضَبَاطَ الْغَايَةِ  
﴿وَأَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا﴾ [البقرة: ١٨٩]، فَلَا يَحِلُّ لِأَحَدٍ أَنْ يَسْلُكَ سَبِيلًا

مُعَوَّجَةً مِنْ أَجْلِ أَنْ يَصِلَ إِلَى غَايَةِ شَرِيفَةٍ، وَلَيْسَ لِأَحَدٍ أَنْ يَصِلَ إِلَى الشَّاطِئِ  
نَظِيفِ الثَّوْبِ وَالْبَدَنِ وَهُوَ يَخُوضُ إِلَيْهِ فِي بَرَكَةٍ مِنَ الْوَحْلِ وَالذَّنَسِ وَالطَّيْنِ،  
فِيدْعُونَ إِلَى تَطْبِيقِ الشَّرِيعَةِ بِمُخَالَفَةِ الشَّرِيعَةِ، وَهَيْهَاتَ فَإِنَّ مَا عِنْدَ اللَّهِ لَا يُنَالُ إِلَّا  
بِطَاعَتِهِ، وَأَوَّلُ ذَلِكَ أَنْ تُطَبَّقَ عَلَى نَفْسِكَ.. عَلَى نَفْسِكَ أَنْتَ هَذَا بَدَايَةُ الْأَمْرِ، وَهُوَ  
مَا كَانَ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ، وَمَا كَانَ مَعَ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، فَإِذَا وَقَعَ شَيْءٌ مِنْ رَدِّ الْإِعْتِدَاءِ  
بِهَذِهِ الصُّورَةِ، وَالنَّبِيُّ ﷺ فِي غَايَةِ الرَّفْقِ وَالْحِلْمِ، فَمَا الَّذِي يُرَادُ مِنْهُ فَوْقَ ذَلِكَ؟  
هُوَ نَبِيُّ الرَّحْمَةِ.

وَأَيْضًا نَبِيُّ الْمَلْحَمَةِ؛ لِأَنَّ النَّظَرَ إِلَى دِينِ اللَّهِ بِعَيْنِ عَوْرَاءٍ يُؤَدِّي إِلَى تَشْوِيهِ  
دِينِ اللَّهِ، وَتَشْوِيهِ الدَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ، وَتَشْوِيهِ الْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ يَتَمَسَّكُونَ بِدِينِ اللَّهِ رَبِّ  
الْعَالَمِينَ - كَمَا مَرَّ - أَنَّنَا نَعْرِفُ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي الْجُمْلَةِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللَّهُ، نَعْرِفُ اللَّهَ  
بِصِفَاتِ الْجَمَالِ وَحَدَهُ، وَأَيْنَ صِفَاتِ الْجَلَالِ؟ إِنَّهُ يَنْتَقِمُ إِنَّهُ يَغْضَبُ إِنَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى  
يَسْخَطُ، إِنَّ لَهُ مِنَ الصِّفَاتِ مَا يَنْبَغِي أَنْ يُؤْمِنَ بِهِ جُمْلَةً وَتَفْصِيلًا، أَمَا أَنْ يَعْرِفَ اللَّهَ  
بِصِفَةِ الْجَمَالِ اللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ.. نَعَمْ، وَهُوَ ذُو انْتِقَامٍ عَظِيمٍ، وَذُو عَذَابٍ أَلِيمٍ، وَذُو  
عَذَابٍ مُهِينٍ، فَيَنْبَغِي أَنْ تَعْرِفَ رَبَّكَ بِصِفَاتِ الْجَمَالِ وَصِفَاتِ الْجَلَالِ، وَكَذَلِكَ  
نَبِيِّكَ ﷺ يَنْبَغِي عَلَيْكَ أَنْ تَعْرِفَهُ مِنْ جَمِيعِ مَا يَنْبَغِي أَنْ تُحِيطَ بِهِ، فَالنَّبِيُّ ﷺ كَانَ  
يَغْضَبُ، وَكَانَ إِذَا غَضِبَ لَمْ يَقُمْ لِعَظْمِهِ شَيْءٌ، لَكِنَّهُ لَا يَغْضَبُ إِلَّا اللَّهُ إِذَا انْتَهَكَتْ  
حُرْمَاتِ اللَّهِ هَذَا لَوْنٌ، وَأَنْ يَتَنَازَلَ عَنْ حَقِّهِ هُوَ لَوْنٌ آخَرٌ، هَذَا شَأْنُهُ وَحَقُّهُ وَيَتَنَازَلُ  
عَنْهُ، فَمَا غَضِبَ لِنَفْسِهِ قَطُّ هَذَا حَقُّهُ، أَمَا أَنْ يَغْضَبَ اللَّهُ ﷻ فَهَذَا حَقُّ اللَّهِ، وَهُوَ يَتَنَازَلُ  
عَنْ حَقِّهِ، وَلَا يَتَنَازَلُ عَنْ شَيْءٍ مِنْ حَقِّ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا.

وَأَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ كَمَا فِي «صَحِيحِ الْأَدَبِ الْمُفْرَدِ» كَانُوا يَتَبَادَحُونَ بِالْبَطِيخِ فِي مَجْلِسٍ مِنْ مَجَالِسِهِمْ يَأْكُلُونَ بِطِيخًا.. عِنَابًا.. يَتَفَكَّهُونَ يَأْكُلُونَ الْفَاكِهَةَ يَجْلِسُونَ، كَانُوا بَشَرًا مِنَ الْبَشَرِ لَمْ يَكُونُوا مُتَّصِلِينَ وَلَا مُتَخَشِّينَ عَلَى النَّحْوِ الَّذِي هُوَ فِي الصُّورَةِ الذَّهْنِيَّةِ الْمَغْلُوطَةِ عَنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ الْأَمِينِ، وَعَلَيْهِ فَأَنْتَ إِذَا كَانَتْ هَذِهِ الصُّورَةُ الذَّهْنِيَّةُ الْمَغْلُوطَةُ عِنْدَكَ فِي ذَهْنِكَ، فَإِنَّكَ لَا يُمْكِنُ أَنْ تَتَأَسَّى بِهِمْ، كَيْفَ تَتَأَسَّى بِمَنْ لَا يَتَأَسَّى بِهِ؟ وَهَلْ هَذَا مِنْ طَبَائِعِ الْبَشَرِ؟

مِنْ طَبَائِعِ الْبَشَرِ أَنْ يُسْرُوا وَأَنْ يَحْزَنُوا، أَنْ يَبْكُوا وَأَنْ يَضْحَكُوا، بَلْ أَنْ يَعْصُوا وَأَنْ يُطِيعُوا، هَذَا كُلُّهُ مِنْ طَبَائِعِ الْبَشَرِ غَيْرِ الْمَعْصُومِينَ، فَكَذَلِكَ كَانَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ الْأَمِينِ، وَلَكِنْ فِي الذَّرْوَةِ مِنَ الْإِنْسَانِيَّةِ بَعْدَ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ فَيَكُونُ الْإِتْسَاءُ أَوْ الْإِقْتِدَاءُ بِهِمْ مَنْشُورًا مُتَّحًا لِكُلِّ مَنْ أَرَادَ وَوَفَّقَهُ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا كَانُوا يَتَبَادَحُونَ بِالْبَطِيخِ فِي مَجْلِسٍ مِنْ مَجَالِسِهِمْ -مَثَلًا- يَأْكُلُونَ بِطِيخًا فَهَذَا يُلْقِي لِأَخِيهِ شَيْئًا وَهَذَا يُلْقِي لَهُ شَيْئًا عَلَى الْمُضَاحَكَةِ أَوْ الْإِكْرَامِ أَوْ الْمُعَابَثَةِ وَلَا شَيْءَ فِي هَذَا، فَإِذَا جَاءَ الْأَمْرُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ انْقَلَبَتْ حَمَالِقُ عَيْنِ أَحَدِهِمْ كَأَنَّهُ مَجْنُونٌ، وَهُوَ هُوَ لَمْ يَتَغَيَّرْ يَتَبَادَحُ مَعَ إِخْوَانِهِ بِالْبَطِيخِ، وَتَنَقَّلَتْ حَمَالِقُهُ كَأَنَّهُ مَجْنُونٌ هُوَ هُوَ، وَلَكِنَّ هَذِهِ حَالٌ وَهَذِهِ حَالٌ.

ظَلَّ الْمُشْرِكُونَ يُعَذِّبُونَ بِلَا حَتَّىٰ إِنْ كَانَ أَمِيَّةٌ بِنُ خَلْفٍ -عَلَيْهِ لَعَائِنُ اللَّهِ- كَمَا مَرَّ يُخْرِجُهُ إِذَا حَمِيَّتِ الظَّهِيرَةُ يَطْرَحُهُ عَلَى ظَهْرِهِ إِلَىٰ غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ هَذِهِ الْأُمُورِ.

النَّبِيُّ ﷺ لَمْ يَكُنْ يَمْلِكُ لَهُمْ شَيْئًا سِوَى الدُّعَاءِ وَأَعْظَمَ بِهِ أَنْ يُثْبِتَهُمُ اللَّهُ، وَأَنْ يُثْبِتَهُمْ، أَمَّا أَنْ يُعْتَقَ فَلَا يَمْلِكُ، أَمَّا أَنْ يَدْفَعَ فَلَا يَقْدِرُ، فَكَانَ يَدْعُو يَدْعُو رَبَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَهُمْ، ظَلَّ بِلَالٌ يَتَحَمَّلُ هَذَا التَّعْذِيبَ الشَّدِيدَ الَّذِي يَقُوقُ طَاقَاتِ الْبَشَرِ، وَهُوَ يُرَدِّدُ كَلِمَتَهُ الْخَالِدَةَ «أَحَدٌ أَحَدٌ» حَتَّى اشْتَرَاهُ الصَّدِيقُ فَأَعْتَقَهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، عَنْ قَيْسٍ قَالَ: «اشْتَرَى أَبُو بَكْرٍ بِلَالًا وَهُوَ مَدْفُونٌ فِي الْحِجَارَةِ بِخَمْسِ أَوَاقٍ مِنْ ذَهَبٍ فَقَالُوا لَوْ أُبَيَّتَ إِلَّا أُوقِيَةً لِبِعْنَاكَه، قَالَ: لَوْ أُبَيَّتُمْ إِلَّا مِثَّةً أُوقِيَةً لَأَخَذْتُهُ، فَكَانَ عَمْرٌ يَقُولُ: أَبُو بَكْرٍ سَيِّدُنَا وَأَعْتَقَ سَيِّدَنَا» أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي «صَحِيحِهِ». أَبُو بَكْرٍ سَيِّدُنَا وَأَعْتَقَ سَيِّدَنَا يُرِيدُ بِلَالًا ﷺ، ثُمَّ أَمَكَنَ اللَّهُ بِلَالًا مِنْ عَدُوِّهِ أُمَيَّةَ بْنِ خَلْفٍ فِي غَزْوَةِ بَدْرٍ فَاقْتَصَّ مِنْهُ.

قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ: «كَاتَبْتُ أُمَيَّةَ بْنَ خَلْفٍ كِتَابًا بِأَنْ يَحْفَظَنِي فِي صَاحِبِي - مَاخُودٌ مِنْ صَاغِ إِلَيْهِ الْمَالُ وَصَاغِيَةُ الرَّجُلِ كُلُّ مَا يَمِيلُ إِلَيْهِ، وَيُطْلَقُ عَلَى الْأَهْلِ وَالْمَالِ - قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ: كَاتَبْتُ أُمَيَّةَ بْنَ خَلْفٍ كِتَابًا بِأَنْ يَحْفَظَنِي فِي صَاحِبِي بِمَكَّةَ وَأَحْفَظُهُ فِي صَاغِيَتِهِ بِالْمَدِينَةِ، فَلَمَّا ذَكَرْتُ الرَّحْمَنَ - يَعْنِي فِي الْكِتَابِ اسْمُهُ يَقُولُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ - قَالَ: لَا أَعْرِفُ الرَّحْمَنَ كَاتِبِي بِاسْمِكَ الَّذِي كَانَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فَكَاتَبْتُهُ: عَبْدَ عَمْرٍو فَلَمَّا كَانَ فِي يَوْمِ بَدْرٍ خَرَجْتُ إِلَى جَبَلٍ لِأُحْرِزَهُ حِينَ نَامَ النَّاسُ، فَأَبْصَرَهُ بِلَالٌ، فَخَرَجَ حَتَّى وَقَفَ عَلَيَّ مَجْلِسٍ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَقَالَ: أُمَيَّةُ بْنُ خَلْفٍ!! لَا نَجُوتُ إِنْ نَجَا أُمَيَّةُ، فَخَرَجَ مَعَ بِلَالٍ فَرَبِقٌ مِنَ الْأَنْصَارِ فِي آثَارِنَا فَلَمَّا حَشِيتُ أَنْ يَلْحَقُونَا خَلَفْتُ لَهُمْ ابْنَهُ

-ابن أمية- لِأَشْغَلَهُمْ، فَقَتَلُوهُ، ثُمَّ أَبُو حَتَّى يَتَّبِعُونِي، وَكَانَ رَجُلًا -يُرِيدُ أُمِيَّةَ بَنِ خَلْفٍ- كَانَ رَجُلًا ثَقِيلًا، فَلَمَّا أَدْرَكُونَا قُلْتُ لَهُ: ابْرُكْ!! فَبَرَكَ، فَأَلْقَيْتُ عَلَيْهِ نَفْسِي لِأَمْنَعَهُ فَتَخَلَّلُوهُ بِالسُّيُوفِ مِنْ تَحْتِي حَتَّى قَتَلُوهُ، وَأَصَابَ أَحَدُهُمْ رَجُلِي بِسَيْفِهِ»، أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ. فَأَمَكَنَ اللَّهُ مِنْهُ.

فَالنَّبِيُّ ﷺ لَمْ يَمْلِكْ لَهُوْلَاءِ سِوَى أَنْ يَدْعُوا اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَهُمْ، وَأَنْ يَثْبُتَهُمْ يَقُولُ: «صَبْرًا آلَ يَاسِرٍ؛ فَإِنَّ مَوْعِدَكُمْ الْجَنَّةَ».

خَبَابٌ ﷺ ذَهَبَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَمَعَهُ بَعْضُ مَنْ عَذَّبَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، فَجَاءَ النَّبِيُّ ﷺ وَهُوَ مُتَوَسِّدٌ بِبُرْدَةٍ لَهُ فِي ظِلِّ الْكَعْبَةِ فَقَالَ لَهُ هُوَ وَجَمَاعَةٌ مِنَ الصَّحَابَةِ: أَلَا تَسْتَنْصِرُ لَنَا؟ أَلَا تَدْعُو لَنَا؟ فَهَذَا مَلَحَظٌ آخَرَ لِحِظُوهُ، النَّبِيُّ ﷺ مُسْتَجَابُ الدَّعْوَةِ لَوْ أَنَّهُ أَرَادَ أَنْ يَخْرِقَ الْأَسْبَابَ هَاهُنَا بِأَمْرِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِدُعَائِهِ أَنْ لَا يُمَكِّنَ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ مِنْهُ وَلَا مِنْ أَتْبَاعِهِ، فَاللَّهُ ﷻ يَسْتَجِيبُ لِنَبِيِّهِ ﷺ، وَهُوَ يَدْعُو عَلَى الْمُشْرِكِينَ، فَيُصِيبُهُمُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَيَدْعُو لَهُمْ بِكُشْفِ مَا نَزَلَ بِهِمْ، فَيَسْتَجِيبُ اللَّهُ تَعَالَى لَهُ أَيْضًا، وَيَدْعُو عَلَى أَنْاسٍ بِأَعْيَانِهِمْ فَيَسْتَجِيبُ اللَّهُ تَعَالَى لَهُ فِيهِمْ، فَذَهَبَ إِلَيْهِ خَبَابٌ، وَذَهَبَ إِلَيْهِ مَنْ ذَهَبَ مَعَهُ مِمَّنْ أُوذِيَ يَقُولُونَ: أَلَا تَسْتَنْصِرُ لَنَا؟ أَلَا تَدْعُو لَنَا؟ فَقَالَ ﷺ وَكَانَ مُتَكِنًا فَجَلَسَ: «لَقَدْ كَانَ مِنْ قَبْلِكُمْ يُؤْخَذُ الرَّجُلُ فَيُحْفَرُ لَهُ فِي الْأَرْضِ، فَيُجْعَلُ فِيهَا، ثُمَّ يُؤْتَى بِالْمِنْشَارِ فَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ، فَيُجْعَلُ نِصْفَيْنِ، وَيُمَشَّطُ بِأَمْشَاطِ الْحَدِيدِ مَا دُونَ لَحْمِهِ وَعَظْمِهِ، فَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَاللَّهُ لَيُتِمَّنَّ اللَّهُ تَعَالَى هَذَا الْأَمْرَ حَتَّى يَسِيرَ الرَّاَكِبُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ لَا يَخَافُ إِلَّا اللَّهَ وَالذَّنْبَ عَلَى غَنَمِهِ، وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ».

هِيَ سُنَّةُ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِيمَا يَقَعُ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، وَبَيْنَ الْهُدَى وَالضَّلَالِ». أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي «صَحِيحِهِ».

وَجَاءَ خَبَابٌ يَوْمًا إِلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه فَقَالَ لَهُ: اذْنُ أَيِّ اقْتِرَبَ، فَمَا أَحَدٌ أَحَقُّ بِهَذَا الْمَجْلِسِ مِنْكَ إِلَّا عَمَّارٌ، فَجَعَلَ خَبَابٌ يُرِيهِ آثَارًا بَظْهَرِهِ مِمَّا عَذَّبَهُ الْمَشْرُكُونَ.

وَقَدْ مَرَّ أَيْضًا أَنَّ لَوْنًا مِنْ أَلْوَانِ الْإِسَاءَةِ وَالتَّعْذِيبِ كَانَ يَرْجِعُ إِلَى الْأَذِيَّةِ النَّفْسِيَّةِ كَانُوا يُعَذِّبُونَهُمْ بِاللَّوْنَيْنِ مَعًا، يُؤْذُونَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ.. فِي آبَائِهِمْ.. فِي أُمَّهَاتِهِمْ.. فِي عِرْضِهِمْ - وَالْعِرْضُ هُوَ مَوْطِنُ الْمَدْحِ وَالْقَدْحِ - وَلَيْسَ بِالَّذِي يَذْهَبُ إِلَيْهِ الذَّهْنُ بَادِي ذِي بَدءٍ، فَكَلِمَةُ الْعِرْضِ مَعْنَاهَا مَوْطِنُ الْمَدْحِ وَالذَّمِّ فَإِذَا شَتَمْتَ إِنْسَانًا فَقَدْ اعْتَدَيْتَ عَلَى عِرْضِهِ، وَإِذَا مَا سَبَبْتَهُ فَقَدْ أَيْضًا اعْتَدَيْتَ عَلَى عِرْضِهِ، إِذَا هَجَوْتَهُ بِشَعْرٍ مَثَلًا فَأَيْضًا هَذَا اعْتِدَاءٌ عَلَى عِرْضِهِ، وَلِذَلِكَ لَمَّا جَاءَ ابْنُ عَمِّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مُسْلِمًا كَمَا سَيَأْتِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا، وَقَدْ مَرَّ ذِكْرُهُ، وَكَانَ كَثِيرَ الْأَذِيَّةِ لِلنَّبِيِّ ﷺ، وَيَهْجُو النَّبِيَّ ﷺ بِالشُّعْرِ وَالْقَصَائِدِ، وَأَرَادَ أَنْ يَدْخُلَ عَلَيْهِ مُسْلِمًا، وَالنَّبِيُّ يَجِدُ فِي نَفْسِهِ عَلَيْهِ مَوْجِدَةٌ شَدِيدَةٌ قَالَ: «أَمَّا ابْنُ عَمِّي فَقَدْ هَتَكَ عِرْضِي».

مِنْ فُجُورِ الْمُشْتَرِكِينَ، وَمِنْ شَيَاطِينِهِمْ مَنْ يَذْهَبُ بِالْعِرْضِ إِلَى مَا هُوَ مَعْلُومٌ، وَيَتَّهَمُ النَّبِيَّ الْمَأْمُونَ ﷺ، وَهَكَذَا يَتَنَاوَلُونَ مَا لَا يَعْلَمُونَ، سَوَاءً كَانُوا

يَعْلَمُونَ أَوْ لَا يَعْلَمُونَ يَعْنِي سَوَاءٌ قَادَهُمُ الْهَوَىٰ وَالزَّيْغُ حَتَّىٰ صَرَفُوا ذَلِكَ عَنْ ظَاهِرِهِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ، وَصَرَفُوهُ عَنْ مَعْنَاهُ وَعَنْ حَقِيقَتِهِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ، الْعَرُضُ: مَوْطِنُ الْمَدْحِ وَالذَّمِّ مِنَ الْإِنْسَانِ، فَإِذَا هَجَوْتَ إِنْسَانًا فَقَدْ وَقَعْتَ فِي عَرِضِهِ وَهَتَكَتَ عَرِضَهُ. بِالْكَلامِ لَا بِالْفِعْلِ فَهَذَا هُوَ فِي أَعْلَى الذُّرْوَةِ مِنْ هَتَكَ الْعَرِضِ، بَلْ هَذَا مَاخُودٌ بِهِ حَتَّىٰ فِي الْقَوَانِينِ الْوَضْعِيَّةِ، فِي جَرِيمَةِ السَّبِّ وَالْقَذْفِ، فَإِنَّهُ إِذَا سَبَّ أَوْ قَذَفَ لَا يُشْتَرَطُ عِنْدَهُمْ أَنْ يَكُونَ واقِعًا فِي عَرِضِهِ بِمَعْنَى أَنَّهُ يَسْبُهُ وَيَقْذِفُهُ بِمَا يَسْتَوْجِبُ حَدًّا فِي الشَّرِيعَةِ - يَعْنِي بِمَا يَتَعَلَّقُ بِالْفَاحِشَةِ -، وَإِنَّمَا إِذَا جَاءَ بِمَا يُؤْذِيهِ فَإِنَّ الْقَانُونَ الْوَضْعِيَّ يُجْرِمُهُ، وَيَقْضِي عَلَيْهِ بِغَرَامَةٍ مَالِيَّةٍ وَبِالْحَبْسِ، إِذَا مَا وَقَعَ فِي عَرِضِهِ بِمَعْنَى الْأَذْيَةِ وَالسُّتْمِ وَالْإِعْتِدَاءِ بِالْبَاطِلِ إِلَىٰ غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ هَذِهِ الْأُمُورِ.

فَكَانُوا يَفْعَلُونَ ذَلِكَ، وَالنَّبِيُّ ﷺ كَانَ يَحُوطُهُمْ وَيَدْعُو لَهُمْ.

مِنَ الْمُسْتَضْعَفِينَ الَّذِينَ عَذَّبُوا صَهَيْبَ الرُّومِيَّ، كَانَ مِمَّنْ يُعَذَّبُ فِي اللَّهِ، وَلَمَّا أَقْبَلَ أَبُو ذَرٍّ الْغِفَارِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلَىٰ مَكَّةَ مُؤْمِنًا قَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «ارْجِعْ إِلَىٰ قَوْمِكَ فَأَخْبِرْهُمْ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ أَمْرِي» فَقَالَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا أَصْرُخَنَّ بِهَا بَيْنَ ظَهْرَانِيهِمْ، فَخَرَجَ حَتَّىٰ أَتَى الْمَسْجِدَ فَنَادَىٰ بِأَعْلَىٰ صَوْتِهِ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَثَارَ عَلَيْهِ الْقَوْمُ فَضْرَبُوهُ حَتَّىٰ أَضْجَعُوهُ فَأَتَى الْعَبَّاسُ فَأَكَبَّ عَلَيْهِ فَقَالَ: وَيَلِكُمْ أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّهُ مِنْ غِفَارٍ؟! وَأَنَّ طَرِيقَ تِجَارَتِكُمْ إِلَى الشَّامِ عَلَيْهَا؟

فَأَنْقَذَهُ مِنْهُمْ، ثُمَّ عَادَ مِنَ الْغَدِ بِمِثْلِهَا، وَثَارُوا عَلَيْهِ فَضْرَبُوهُ، فَأَكَبَّ عَلَيْهِ

الْعَبَّاسُ فَأَنْقَذَهُ.

وَهَذَا قَلِيلٌ مِنْ كَثِيرٍ مِمَّا لَقَاهُ النَّبِيُّ الْبَشِيرُ النَّذِيرُ، وَلَا قَاهُ أَصْحَابُهُ رضي الله عنهم مِنْ كُفَّارِ  
مَكَّةَ لِإِزْغَامِهِمْ عَلَى تَرْكِ عَقِيدَةِ التَّوْحِيدِ، وَمَا دَعَاهُمْ إِلَيْهِ النَّبِيُّ الرَّشِيدُ صلوات الله عليه.  
مَا الَّذِي حَمَلَهُمْ عَلَى ذَلِكَ؟

العِنَادُ الْمَجْنُونُ العِنَادُ البَغْلِيُّ مَا الَّذِي دَعَاهُمْ إِلَى ذَلِكَ؟ دَعَاهُمْ إِلَيْهِ  
جُحُودُهُمْ وَظُلْمُهُمْ وَكِبْرُهُمْ ﴿قَدْ نَعَلَمُ إِنَّهُ لِيَحْزُنَكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ  
وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ [الأنعام: ٣٣]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَحَمَدُوا بِهَا  
وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ [النمل: ١٤]، وَكَانُوا يُنْكِرُونَ عَلَى النَّبِيِّ صلوات الله عليه  
وَيَقُولُونَ: أَجْعَلُ الْإِلَهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا؟ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجَابٌ، وَكَانَ مِنْ أَسْبَابِ  
مُحَارَبَتِهِمْ لِلدَّعْوَةِ أَنْ قَالُوا ﴿لَوْلَا نَزَلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقُرَيْتَيْنِ عَظِيمٍ﴾  
[الزخرف: ٣١]، فَلَمْ يَكُنْ عِنْدَهُمْ أَدْنَى اسْتِعْدَادٍ لِتَرْكِ دِينِ الْآبَاءِ وَالْأَجْدَادِ حَتَّى  
قَالُوا: ﴿اللَّهُمَّ إِنْ كَانَتْ هَذَاهُ الْوَالْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ  
أَوْ أُنزِلْ عَلَيْنَا آيَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ﴾ [الأنفال: ٣٢]، هَلَّا قَالُوا: إِنْ كَانَ هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ  
فَاهْدِنَا إِلَيْهِ.. فَأَرْشِدْنَا إِلَيْهِ.. فَاحْمِلْنَا عَلَيْهِ؟ وَلَكِنْ مِنْ شِدَّةِ الْعَدَاوَةِ، وَمِنْ وَفَرَةِ  
الْحِقْدِ يَقُولُونَ: اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَرِنَا آيَةً.. مَا هِيَ الْآيَةُ؟ أَنْ  
يُهْلِكَهُمْ ﴿فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ أَوْ أُنزِلْ عَلَيْنَا آيَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ﴾.

مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ رضي الله عنه كَانَ أَنْعَمَ فِتَى بِمَكَّةَ، وَأَجُودَهُ حُلَّةً -أَفْحَمَهُ ثِيَابًا-،  
وَكَانَ أَبَوَاهُ يُحِبَّانِهِ كَانَتْ أُمُّهُ مَلِيئَةً -كَثِيرَةَ الْمَالِ- تَكْسُوهُ أَحْسَنَ مَا يَكُونُ مِنَ  
الثِّيَابِ وَأَرْقَهُ، وَكَانَ أَعْطَرَ أَهْلِ مَكَّةَ، يَلْبَسُ الْحَضْرَمِيِّ مِنَ النَّعَالِ، وَبَلَغَ مِنْ شِدَّةِ

كَفَلَ أُمُّهُ بِهِ أَنَّهُ يَبِيْتُ وَقَعْبُ الْحَيْثُ - وَالْقَعْبُ هُوَ الْقَدْحُ الْغَلِيظُ، الْحَيْثُ تَمْرٌ وَأَقِطٌ وَسَمْنٌ تُخْلَطُ وَتُعَجَّنُ - فَمِنْ شِدَّةِ كَفْلِ أُمِّهِ بِهِ أَنَّهُ يَبِيْتُ وَقَعْبُ الْحَيْثُ عِنْدَ رَأْسِهِ، فَإِذَا اسْتَيْقَظَ مِنْ نَوْمِهِ أَكَلَ، وَلَمَّا عَلِمَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَدْعُو إِلَى الْإِسْلَامِ فِي دَارِ الْأَرْقَمِ بْنِ أَبِي الْأَرْقَمِ دَخَلَ عَلَيْهِ فَاسْلَمَ، وَصَدَّقَ بِهِ، وَخَرَجَ فَكْتَمَ إِسْلَامَهُ خَوْفًا مِنْ أُمِّهِ وَقَوْمِهِ، فَكَانَ يَخْتَلِفُ لِي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَبَصَرَ بِهِ عُثْمَانُ بْنُ طَلْحَةَ يُصَلِّي، فَأَخْبَرَ أُمَّهُ وَقَوْمَهُ فَأَخَذُوهُ وَحَبَسُوهُ، فَلَمْ يَزَلْ مَحْبُوسًا حَتَّى خَرَجَ إِلَى أَرْضِ الْحَبَشَةِ فِي الْهَجْرَةِ الْأُولَى، قَالَ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لَقَدْ رَأَيْتُهُ جَهْدَ فِي الْإِسْلَامِ جَهْدًا شَدِيدًا، حَتَّى لَقَدْ رَأَيْتُ جِلْدَهُ يَتَحَشَّفُ - أَيَّ يَتَطَايَرُ - تَحَشَّفَ جِلْدُ الْحَيَّةِ عَنْهَا، حَتَّى إِنْ كُنَّا لَنَعْرِضُهُ عَلَى قُبْنَا فَحَمَلُهُ مِمَّا بِهِ مِنْ الْجَهْدِ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ كُلَّمَا ذَكَرَهُ قَالَ: «مَا رَأَيْتُ بِمَكَّةَ أَحَدًا أَحْسَنَ لِمَّةً، وَلَا أَرْقَ حُلَّةً، وَلَا أَنْعَمَ نِعْمَةً مِنْ مُضْعَبِ بْنِ عَمِيرٍ»، وَمَعَ كُلِّ مَا أَصَابَهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِنْ بَلَاءٍ وَمِحْنَةٍ وَوَهْنٍ فِي الْجِسْمِ وَالْقُوَّةِ وَجَفَاءٍ مِنْ أَقْرَبِ النَّاسِ إِلَيْهِ لَمْ يَقْصُرْ عَنْ شَيْءٍ مِمَّا بَلَغَهُ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْخَيْرِ وَالْفَضْلِ وَالْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ تَعَالَى، حَتَّى أَكْرَمَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِالشَّهَادَةِ يَوْمَ أُحُدٍ.

مَعَ هَذَا كُلِّهِ هَلْ تَفَرَّغُوا لِتَحْمِلِ ذَلِكَ وَتُلْقِيهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ تَكُونَ هُنَاكَ دَعْوَةٌ إِلَى التَّوْحِيدِ، وَنَبَذِ الشِّرْكَ؟

لَمْ يَتَأَخَّرْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَصْحَابُهُ فِي تَغْيِيرِ الْمُنْكَرِ مَا اسْتَطَاعُوا إِلَى ذَلِكَ سَبِيلًا مَا لَمْ يَتَرْتَبْ عَلَيْهِ مَفْسَدَةٌ أَكْثَرُ أَوْ أَدَى أَكْبَرُ مِنْ ذَلِكَ.

عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: انْطَلَقْتُ أَنَا وَالنَّبِيُّ ﷺ حَتَّى أَتَيْنَا الْكَعْبَةَ، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اجْلِسْ»، وَصَعِدَ عَلَيَّ مِنْكِبِي، فَذَهَبْتُ لِأَنْهَضَ بِهِ فَرَأَى مِنِّي ضَعْفًا فَنَزَلَ، وَجَلَسَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «اصْعِدْ عَلَيَّ مِنْكِبِي»، قَالَ: فَهَضَّ بِي. قَالَ: فَإِنَّهُ يُحِيلُ إِلَيَّ أَنِّي لَوْ شِئْتُ لَنَلْتُ أَفْقَ السَّمَاءِ، حَتَّى صَعِدْتُ عَلَيَّ الْبَيْتِ، وَعَلَيْهِ تِمْتَالُ صُفْرٍ أَوْ نُحَاسٍ، فَجَعَلْتُ أَزَاوِلُهُ عَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ وَبَيْنَ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ حَتَّى اسْتَمَكَنْتُ مِنْهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اقْدِفْ بِهِ»، فَقَدَفْتُ بِهِ فَتَكَسَّرَ كَمَا تَتَكَسَّرُ الْقَوَارِيرُ، ثُمَّ نَزَلْتُ فَانْطَلَقْتُ أَنَا وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ نَسْتَبِقُ حَتَّى تَوَارَيْنَا بِالْبُيُوتِ خَشِيَةَ أَنْ يَلْقَانَا أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ.

أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي «مُسْنَدِهِ» وَالْبَزَّازُ فِي «مُسْنَدِهِ» وَأَبُو يَعْلَى وَالتَّطْبَرِيُّ فِي «التَّهْدِيدِ» - «تَهْدِيدِ الْأَثَارِ» - وَالْحَاكِمُ فِي «المُسْتَدْرَكِ» بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ.



جامع منہاج النبوة

## مُجَادَلَةُ الْمُشْرِكِينَ وَإِقَامَةُ الْحُجَّةِ

## الدَّامِغَةُ عَلَيْهِمْ بِاعْتِرَافِهِمْ فِي أَنْفُسِهِمْ بِالْحَقِّ

وَكَذَلِكَ جَادَلَ الْمُشْرِكِينَ، وَأَقَامَ عَلَيْهِمُ الْحُجَّةَ الدَّامِغَةَ بِاعْتِرَافِهِمْ فِي أَنْفُسِهِمْ بِالْحَقِّ، وَإِنْ أَظْهَرُوا الْمُخَالَفَةَ عِنَادًا وَحَسَدًا وَبَغْيًا وَجُحُودًا، كَمَا أَقَرَّ بِذَلِكَ أَبُو جَهْلٍ فِي رِوَايَةِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ الْوَلِيدَ بْنَ الْمُغْبِرَةَ جَاءَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَرَأَ عَلَيْهِ الْقُرْآنَ فَكَانَتْهُ رَقٌّ لَهُ، فَبَلَغَ ذَلِكَ أَبَا جَهْلٍ فَأَتَاهُ فَقَالَ: يَا عَمُّ إِنَّ قَوْمَكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَجْمَعُوا لَكَ مَالًا، وَيَعْلَمُ صِدْقَ مَا يُفَوِّهُ بِهِ الْوَلِيدُ بْنُ الْمُغْبِرَةَ بَلْ قَالَ مِثْلَهُ، وَقَالَ: إِنَّهُمْ إِنَّمَا صَدَّهْمُ عَنِ الدِّينِ الْحَقِّ، وَعَنْ تَوْحِيدِ الْخَالِقِ الْعَظِيمِ أَنَّهُمْ وَبَنُو عَبْدِ مَنَافٍ تَسَابَقُوا، أَعْطَوْا فَأَعْطِينَا.. وَتَصَدَّقُوا فَتَصَدَّقْنَا.. وَأَعْتَقُوا فَأَعْتَقْنَا.. إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ، حَتَّى إِذَا كُنَّا كَفَرَسِي رِهَانٍ وَتَحَاكَّتِ الرُّكْبُ - يَعْنِي لَا سَابِقُ وَلَا مَسْبُوقٌ - قَالُوا: مِثْلُ نَبِيِّ يَأْتِيهِ الْوَحْيُ مِنَ السَّمَاءِ، قَالَ: فَأَنَّى نُدْرِكُ مِثْلَ هَذِهِ؟! يَعْنِي لَوْ ادَّعَى هُوَ النَّبِيُّ أَكَانَ يُمَكِّنُ أَنْ يُصَدَّقَ؟

قَالَ: فَأَنَّى نُدْرِكُ مِثْلَ هَذِهِ؟

قَالَ: كُلُّ مَا مَرَّ يُمَكِّنُ ادَّعَاؤَهُ.. فِي الْعَطَاءِ.. وَفِي الْبَدْلِ.. وَفِي فَكِّ الْعَانِي.. وَفِي رِعَايَةِ الْأَسِيرِ.. وَبَدْلِ الْمَعْرُوفِ.. هَذَا يُمَكِّنُ أَنْ يُفَعَلَ مِنْهُ مَا يُفَعَلُ، وَيُمَكِّنُ أَنْ يُدْعَى مِنْهُ مَا يُدْعَى، وَلَكِنَّ النَّبِيَّ؟!!

قَالَ: قَالُوا مَنَّا نَبِيٌّ يَأْتِيهِ الْوَحْيُ مِنَ السَّمَاءِ، فَمَتَى نُنْذِرُكَ مِثْلَ هَذِهِ؟ إِذَنْ سَبَقُونَا؛ وَاللَّهِ لَا نُؤْمِنُ بِهِ أَبَدًا.

كَانَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ نَصِيرًا لِلْمُسْتَضْعَفِينَ، وَمُحَرَّرًا لِلرَّقِيقِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَ فِي الْعَصْرِ الْحَدِيثِ مَنْ يَتَّبِعُهُ الْإِسْلَامَ فِي هَذَا الْجَانِبِ بِمَا يَتَّهَمُونَهُ بِهِ زُورًا وَعَدْوًا وَطُغْيَانًا، لِأَنَّ الْإِسْلَامَ الْعَظِيمَ جَاءَ فَوَجَدَ وَضْعًا قَائِمًا، فَمَاذَا كَانَ يُمَكِّنُ أَنْ يَفْعَلَ مَعَهُ؟

ضَيَّقَ الْمَوَارِدَ وَوَسَّعَ الْمَصَادِرَ، فَرَهَبَ مِنْ أَنْ يُعْتَدَى عَلَى أَحَدٍ بِغَيْرِ حَقٍّ، وَأَنْ يُؤَسَّرَ حُرٌّ بِغَيْرِ حَقٍّ، وَفِي الْوَقْتِ عَيْنِهِ جَعَلَ عَتَقَ الرَّقَبَةَ دَاخِلًا فِي أُمُورٍ كَثِيرَةٍ مِنَ الْكُفَرَاتِ وَالتَّقَرُّبَاتِ إِلَى اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَغَيْرِ ذَلِكَ كَمَا سَيَأْتِي طَرْحُ بَعْضِ ذَلِكَ - إِنْ شَاءَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا - فَعَالَجَ الْمَسْأَلَةَ عَلَى حَسَبِ الْوَاقِعِ الَّذِي كَانَ، ثُمَّ هَذَا أَمْرٌ سَيَكُونُ إِلَى آخِرِ الزَّمَانِ؛ لِأَنَّ الْحُرُوبَ تَقَعُ، وَرُبَّمَا قَامَ الْأَعْدَاءُ بِأَسْرِ الرَّجَالِ، وَسَبِي النِّسَاءِ، وَأَخَذِ الذُّرِّيَّةِ، فَمَاذَا يَفْعَلُ مَنْ يُحَارِبُهُمْ؟ يَتَنَزَّهُ الْمُسْلِمُونَ عَنْ ذَلِكَ وَيَتْرَكُونَ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالذُّرِّيَّةَ وَيَقُولُونَ: لَا هَذَا.. لَا يَجُوزُ؟

قَدْ يُبَادِلُ هَوْلًا بِهَوْلٍ، وَقَدْ يَكُونُ الرُّقُّ لَهُمْ خَيْرًا مِنَ الْحُرِّيَّةِ الَّتِي يَدْعُونَ أَنَّهُمْ يَتَنَعَّمُونَ بِهَا، لِأَنَّ الْحُرِّيَّةَ الْحَقَّةَ إِنَّمَا هِيَ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا وَتَوْحِيدِهِ وَلَوْ كَانَ قَيْنًا.. وَلَوْ كَانَ رَقِيقًا.. وَلَوْ كَانَ عَبْدًا مَمْلُوكًا فَإِنَّ الْحُرِّيَّةَ الْحَقَّةَ إِنَّمَا هِيَ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَالْعُبُودِيَّةِ لِلَّهِ جَلَّ وَعَلَا فَالْعُبُودِيَّةُ لِلَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى هِيَ مَحْضُ الْحُرِّيَّةِ، لِأَنَّهَا عَتَقٌ مِنَ الْعُبُودِيَّةِ لِغَيْرِ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَهَذِهِ هِيَ الْعُبُودِيَّةُ الْحَقَّةُ.

الْعُبُودِيَّةُ لِغَيْرِ اللَّهِ وَالْعِبَادَةُ لِغَيْرِ اللَّهِ هِيَ الْعُبُودِيَّةُ الَّتِي لَيْسَ وِرَاءَهَا عُبُودِيَّةٌ فِي الْمَدَلَّةِ وَفِي الْمَهَانَةِ وَفِي الْهُوَانِ وَفِي الْإِنْحِطَاطِ، وَأَمَّا الْعُبُودِيَّةُ لِلَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فَهِيَ الْحُرِّيَّةُ الْحَقَّةُ، إِذْ هِيَ انْعِتَاقٌ لِلْعُبُودِيَّةِ لِسَائِرِ خَلْقِ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا.

وَإِهْبُ الْحُرِّيَّاتِ وَمُحَرَّرِ الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، وَالَّذِي عُرِفَ بَيْنَ قَوْمِهِ بِأَنَّهُ يُكْسِبُ الْمَعْدُومَ، وَيَصِلُ الرَّحِمَ، وَيَحْمِلُ الْكَلَّ، وَيَقْرِي الضَّيْفَ، وَيُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ سَيَذْهَبُ ذِهْنُكَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ وَحَقِّ لَكَ، وَهَذِهِ الصِّفَاتُ قَالَتْهَا خَدِيجَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فِي حَقِّ نَبِيِّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ عِنْدَمَا أَخْبَرَهَا بِنُزُولِ الْوَحْيِ عَلَيْهِ، وَهِيَ مُطَابِقَةٌ لِمَوْضِعِهَا تَمَامَ الْمُطَابِقَةِ، وَلَكِنَّهَا قِيلَتْ أَيْضًا فِيمَنْ؟ فِي أَبِي بَكْرٍ، وَقَدْ شَهَرَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِهَذِهِ الصِّفَاتِ - كَمَا فِي «صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ» -، لَمْ يَنْعَمْسُ فِي إِثْمٍ فِي جَاهِلِيَّتِهِ كَانَ إِنْفَاءً مَأْلُوفًا فِي قَوْمِهِ، يَسِيلُ قَلْبُهُ رِقَّةً وَرَحْمَةً عَلَى الضُّعْفَاءِ وَالْأَرْقَاءِ، أَنْفَقَ جُزْءًا كَبِيرًا مِنْ مَالِهِ فِي شِرَاءِ الْعَبِيدِ وَعَتَقِهِمْ لِلَّهِ وَفِي اللَّهِ، ذَلِكَ الْمُحَرَّرُ لِلْعَبِيدِ هُوَ صَدِيقُ هَذِهِ الْأُمَّةِ الْأَكْبَرِ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

مِمَّنْ أَعْتَقَهُمْ مِنَ الْكِرَامِ السَّابِقِينَ:

بِلَالُ بْنُ رَبَاحٍ، فَقَدْ أَعْتَقَهُ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، مَرَّ عَلَى أُمِّيَّةَ بْنِ خَلْفٍ - لَعَنَهُ اللَّهُ - وَهُوَ يُعَذِّبُ بِلَالًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَقَالَ لَهُ أَبُو بَكْرٍ: أَلَا تَتَّقِي اللَّهَ فِي هَذَا الْمَسْكِينِ؟ حَتَّى مَتَى؟ قَالَ: أَنْتَ الَّذِي أَفْسَدْتَهُ فَأَنْتِزَهُ مِمَّا تَرَى. فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَفْعَلُ. عِنْدِي غُلَامٌ أَسْوَدٌ وَأَجْلَدٌ مِنْهُ وَأَقْوَى عَلَى دِينِكَ، أُعْطِيكَ بِهِ. قَالَ أُمِّيَّةُ: قَدْ قَبِلْتُ. فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: هُوَ لَكَ. فَأَعْطَاهُ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ غُلَامَهُ ذَلِكَ وَأَخَذَ بِلَالًا فَأَعْتَقَهُ.

فِي رِوَايَةٍ أُخْرَى فِي مُسْنَدِ مُسَدِّ بْنِ مُسْرَهْدٍ عَنْ مَعْمَرِ بْنِ أَبِي هِنْدٍ قَالَ: «كَانَ بِلَالٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لِأَيْتَامِ أَبِي جَهْلٍ، فَعَذَّبَهُ فَبَعَثَ أَبُو بَكْرٍ رَجُلًا فَقَالَ لَهُ: اشْتَرِ بِلَالًا فَأَعْتَقَهُ».

وَفِي رِوَايَةِ ابْنِ أَبِي شَيْبَةَ فِي «مُصَنَّفِهِ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَنْ قَيْسِ بْنِ أَبِي حَازِمٍ قَالَ: «اشْتَرَى أَبُو بَكْرٍ بِلَالًا بِخَمْسِ أَوَاقٍ. قَالُوا: لَوْ أَبَيْتَ إِلَّا أَوْقِيَةً لِبِعْنَاكَهُ. فَقَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لَوْ أَبَيْتُمْ إِلَّا مِئَةَ أَوْقِيَةٍ لَأَخَذْتُهُ»

قَدْ يُوجَدُ أحيانًا بَعْضُ الْاِخْتِلَافِ فِي الْعَدَدِ أَوْ مَا أَشْبَهَ وَهَذَا لَا يَضُرُّ، وَأَمَّا الَّذِي أَعْتَقَ بِلَالًا عَلَى الْحَقِيقَةِ فَهُوَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

لِذَلِكَ قَالَ الْحَافِظُ: «يُجْمَعُ بَيْنَ الْقِصَّتَيْنِ بَأَنَّ كُلًّا مِنْ أُمِّيَّةِ بْنِ خَلْفٍ وَأَبِي جَهْلٍ كَانَ يُعَذَّبُ بِلَالًا وَلَهُمَا نَصِيبٌ فِيهِ».

وَرَوَى الْبُخَارِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي «صَحِيحِهِ» عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «أَبُو بَكْرٍ سَيِّدَنَا، وَأَعْتَقَ سَيِّدَنَا» يَعْنِي بِلَالًا.

مِمَّنْ أَعْتَقَهُمْ: أَبُو فُكَيْهَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ اشْتَرَاهُ وَأَعْتَقَهُ. عَامِرُ بْنُ فُهَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ اشْتَرَاهُ وَأَعْتَقَهُ لَوْجَهُ اللَّهُ تَعَالَى، وَقَدْ شَهِدَ عَامِرُ بْنُ فُهَيْرَةَ غَزْوَةَ بَدْرٍ وَأُحُدٍ، وَقُتِلَ فِي فَاجِعَةِ بئرِ مَعُونَةَ شَهِيدًا سَنَةَ أَرْبَعٍ مِنَ الْهَجْرَةِ. زُبَيْرَةُ اشْتَرَاهَا وَأَعْتَقَهَا.

وَكَذَلِكَ جَارِيَةٌ بَنِي مُؤَمَّلٍ، وَكَانَ الَّذِي يُعَذِّبُهَا عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَبْلَ أَنْ يُسَلِّمَ فَاشْتَرَاهَا وَأَعْتَقَهَا.

النَّهْدِيَّةُ وَابْتَتْهَا، وَكَانَتْ لِامْرَأَةٍ مِنْ بَنِي عَبْدِ الدَّارِ فَمَرَّ بِهِمَا فَاشْتَرَاهُمَا  
وَأَعْتَقَهُمَا، لَمْ يَكُنْ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقْصِدُ بِعَمَلِهِ مُحَمَّدَةً وَلَا جَاهًا وَلَا دُنْيَا، وَإِنَّمَا  
كَانَ يُرِيدُ وَجْهَ اللَّهِ - تَعَالَى ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ - .

رَوَى الْحَاكِمُ فِي «الْمُسْتَدْرَكِ» بِسَنَدٍ حَسَنٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ:  
«قَالَ أَبُو قُحَافَةَ وَالِدُ أَبِي بَكْرٍ: يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَاكَ تُعْتِقُ رِقَابًا ضِعَافًا فَلَوْ أَنَّكَ إِذْ  
فَعَلْتَ مَا فَعَلْتَ أَعْتَقْتَ رِجَالًا جُلْدًا يَمْنَعُونَكَ - يَعْنِي لِأَجْلِ الْوَلَاءِ -، وَيَقُومُونَ  
دُونَكَ؟ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: يَا أَبَتُ!! إِنَّمَا أُرِيدُ مَا أُرِيدُ اللَّهُ عَلَيْهِ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى  
فِيهِ ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَانْفَكَى ﴿٥﴾ وَصَدَقَ بِالْحُسْنَى ﴿٦﴾ فَسَنِيَرُهُ لِلْعُسْرَى ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى  
﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى ﴿٩﴾ فَسَنِيَرُهُ لِلْعُسْرَى ﴿١٠﴾ وَمَا يَعْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى ﴿١١﴾ إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى  
﴿١٢﴾ وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَى ﴿١٣﴾ فَأَنْذَرْتُمْ نَارًا تَلْطَلَّى ﴿١٤﴾ لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى ﴿١٥﴾ الَّذِي كَذَّبَ  
وَتَوَلَّى ﴿١٦﴾ وَسِجْجَنِهَا إِلْتَقَى ﴿١٧﴾ الَّذِي يُوْتِي مَالَهُ يَتَرَكَّى ﴿١٨﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى  
﴿١٩﴾ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى ﴿٢٠﴾ وَسَوْفَ يَرْضَى ﴿٢١﴾﴾ [الليل: ٥ - ٢١].

قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي تَفْسِيرِ هَذِهِ الْآيَةِ: «ذَكَرَ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ  
الْمُفَسِّرِينَ أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ فِي أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، حَتَّى إِنَّ بَعْضَهُمْ  
حَكَى الْإِجْمَاعَ مِنَ الْمُفَسِّرِينَ عَلَى ذَلِكَ، وَلَا شَكَّ أَنَّهُ دَاخِلٌ فِيهَا، وَأَوْلَى الْأُمَّةِ  
بِعُمُومِهَا فَإِنَّ لَفْظَهَا لَفْظُ الْعُمُومِ وَهُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَسِجْجَنِهَا إِلْتَقَى ﴿١٧﴾ الَّذِي  
يُوْتِي مَالَهُ يَتَرَكَّى ﴿١٨﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى ﴿١٩﴾ لَكِنَّهُ مُقَدَّمُ الْأُمَّةِ، وَسَابِقُهُمْ فِي  
جَمِيعِ هَذِهِ الْأَوْصَافِ، وَسَائِرِ الْأَوْصَافِ الْحَمِيدَةِ، فَإِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا.. تَقِيًّا..  
كَرِيمًا.. جَوَادًا.. بَدَأَ لِأَمْوَالِهِ فِي طَاعَةِ مَوْلَاهُ، وَنُصْرَةِ رَسُولِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فَكَمْ مِنْ دَرَاهِمَ وَدَنَانِيرَ بَدَلَهَا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْكَرِيمِ، وَلَمْ يَكُنْ لِأَحَدٍ مِنَ النَّاسِ عِنْدَهُ مِنْهُ يَحْتَاجُ أَنْ يُكَافِئَهُ بِهَا، وَلَكِنْ كَانَ فَضْلُهُ وَإِحْسَانُهُ عَلَى السَّادَاتِ وَالرُّؤَسَاءِ مِنْ سَائِرِ الْقَبَائِلِ، وَلِهَذَا قَالَ لَهُ عُرْوَةُ بْنُ مَسْعُودٍ الثَّقَفِيُّ، وَهُوَ سَيِّدُ ثَقِيفٍ يَوْمَ صَلْحِ الْحُدَيْبِيَّةِ، - وَكَانَ عَلَى الْكُفْرِ مَا أَسْلَمَ بَعْدُ - : أَمَا وَاللَّهِ لَوْلَا يَدُكَ لَكَ كَانَتْ عِنْدِي لَمْ أَجْرِكَ بِهَا لِأَجْبَتِكَ، وَكَانَ الصِّدِّيقُ رضي عنه قَدْ أَغْلَظَ لَهُ فِي الْمَقَالَةِ.

فَإِذَا كَانَ هَذَا حَالَهُ مَعَ سَادَاتِ الْعَرَبِ، وَرُؤَسَاءِ الْقَبَائِلِ فَكَيْفَ بِمَنْ عَدَاهُمْ؟ وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْرَىٰ ﴿١٩﴾ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴿٢١﴾﴾ [الليل: ١٩ - ٢١] مَعَ هَذَا كُلِّهِ، وَمَا كَانُوا يُعَانُونَ فَإِنَّهُمْ كَانُوا مَاضِينَ فِي الدَّعْوَةِ إِلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ، فَهَذَا الَّذِي مَرَّ ذِكْرُهُ، وَمَا سَبَقَ مِنْ قِرَاءَةِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ الْقُرْآنَ جَهْرًا عَلَىٰ قُرَيْشٍ، وَهُوَ يَعْلَمُ يَقِينًا أَنَّهُ سَيُصِيبُهُ الْأَذَىٰ، وَلَكِنْ إِنَّمَا فَعَلَ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا.

اشْتَدَّ آذَاهُمْ ضَرَاوَةً بِالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، وَسَامُوهُمْ أَلْوَانًا مِنَ الْعَذَابِ.

رَوَى ابْنُ إِسْحَاقَ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ قَالَ: «قُلْتُ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ أَكَانَ الْمُشْرِكُونَ يَبْلُغُونَ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صلوات الله عليهم مِنَ الْعَذَابِ مَا يُعْذَرُونَ فِي تَرْكِ دِينِهِمْ؟ قَالَ: نَعَمْ، وَاللَّهِ إِنْ كَانُوا لِيَضْرِبُونَ أَحَدَهُمْ وَيَجِيعُونَهُ وَيَعْطِشُونَهُ حَتَّىٰ مَا يَقْدِرُ أَنْ يَسْتَوِيَ جَالِسًا مِنْ شِدَّةِ الضَّرِّ الَّذِي نَزَلَ بِهِ حَتَّىٰ يُعْطِيَهُمْ مَا سَأَلُوهُ مِنَ الْفِتْنَةِ، حَتَّىٰ يَقُولُوا لَهُ: اللَّاتُ وَالْعُزَّىٰ إِلَهَكَ مِنْ دُونِ اللَّهِ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ. حَتَّىٰ إِنْ

الْجَعَلَ هُوَ حَيَّوَانٌ مَعْرُوفٌ بِالْخُنْفَسَاءِ لَيَمُرُّ بِهِمْ فَيَقُولُونَ لَهُ: أَهَذَا الْجَعْلُ الْهَكَ  
مِنْ دُونِ اللَّهِ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ. افْتِدَاءً مِنْهُمْ مِمَّا يَبْلُغُونَ مِنْ جَهْدِهِ.

لَمَّا طَالَ عَلَيْهِمْ شَكْوَاهُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ كَمَا مَرَّ فِي حَدِيثِ الْبُخَارِيِّ عَنْ  
خَبَّابٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي شَكْوَاهُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَذَكَرَ لَهُمْ مَا كَانَ مِنْ شَأْنِ السَّابِقِينَ  
مِنَ الْأُمَمِ الْمَاضِيَةِ فِي صَبْرِهِمْ وَتَحْمُلِهِمْ وَجِهَادِهِمْ لِيُثَبَّتَ بِذَلِكَ اللَّهُ ﷻ أَقْدَامَهُمْ  
عَلَى الْحَقِّ.



جامع من هاج النبوة

www.menhag-un.com

## لِمَاذَا تَمَّ اخْتِيَارَ دَارِ الْأَرْقَمِ بِالذَّاتِ لِتَعْلِيمِ الْمُسْلِمِينَ أُمُورَ دِينِهِمْ؟

كَانَ الرَّسُولُ ﷺ يَلْتَقِي سِرًّا بِالدَّخِيلِينَ فِي الْإِسْلَامِ لِيُعَلِّمَهُمْ مَا يَنْزِلُ بِهِ  
الْوَحْيُ مِنْ تَعَالِيمِ الدِّينِ.

فِي السَّنَةِ الْخَامِسَةِ مِنْ ابْتِدَاءِ الدَّعْوَةِ اخْتَارَ الرَّسُولُ ﷺ مَنْزِلَ أَحَدِ  
الْمُسْلِمِينَ وَهُوَ الْأَرْقَمُ بْنُ أَبِي الْأَرْقَمِ لِيَلْتَقِيَ بِأَكْبَرِ عَدَدٍ مِنْهُمْ، وَحَافِظُوا عَلَيَّ  
كَتْمَانَ سِرِّيَّةِ ذَلِكَ الْمَكَانِ، لِأَنَّ عَامَّةَ الصَّحَابَةِ كَانُوا يُخْفُونَ إِسْلَامَهُمْ، وَلِذَا فَمِنَ  
الْحِكْمَةِ أَنْ يَتَّبِعُوا ذَلِكَ لِمَا فِيهِ مِنْ صَالِحٍ لِلْمُسْلِمِينَ وَالْإِسْلَامِ، أَمَا لِمَاذَا اخْتَارَ  
الرَّسُولُ ﷺ دَارَ الْأَرْقَمِ بِالذَّاتِ؟

فَقَدْ أَجَابَ عَنْ هَذَا السُّؤَالِ اسْتِنْتِاجًا الْمُبَارَكُفُورِيُّ - غَفَرَ اللَّهُ لَهُ - فَقَالَ:  
«لِأَنَّ الْأَرْقَمَ لَمْ يَكُنْ مَعْرُوفًا بِإِسْلَامِهِ، وَلِأَنَّهُ مِنْ بَنِي مَخْزُومٍ الَّتِي تَحْمِلُ لِيَوَاءِ  
التَّنَافُسِ وَالْحَرْبِ ضِدَّ بَنِي هَاشِمٍ إِذْ يُسْتَبَعَدُ أَنْ يَخْتَفِيَ الرَّسُولُ ﷺ فِي قَلْبِ  
الْعَدُوِّ، وَلِأَنَّهُ كَانَ فَتًى صَغِيرًا عِنْدَمَا أَسْلَمَ فِي حُدُودِ السَّتِّ عَشْرَةَ سَنَةً؛ إِذْ أَنَّهُ  
فِي هَذِهِ الْحَالِ تَنْصَرَفُ الْأَذْهَانُ إِلَى مَنَازِلِ كِبَارِ الصَّحَابَةِ، وَيُلْحِظُ أَنَّ دَارَ  
الْأَرْقَمِ كَانَتْ قُرْبَ الصَّفَا، وَهِيَ مَنْطِقَةٌ تَشْتَدُّ فِيهَا حَرَكَةُ النَّاسِ بِصُورَةٍ طَبِيعِيَّةٍ  
مِمَّا يَضَعُوبُ مَعَهُ إِدْرَاكُ وُجُودِ حَرَكَةٍ خَاصَّةٍ بِأَنَاسٍ تَجْتَمِعُ وَتَنْفُضُ فِي تِلْكَ

الدَّارِ، وَعِنْدَمَا شَكَ الْكُفَّارُ فِي وُجُودِ مَكَانٍ يَلْتَقِي فِيهِ الْمُسْلِمُونَ كَانَ كُلُّ الَّذِي تَوَصَّلُوا إِلَيْهِ أَنَّهُ يَلْتَقِي بِهِمْ فِي دَارٍ عِنْدَ الصَّفَا، كَانَتْ تِلْكَ الدَّارُ فِي أَصْلِ الصَّفَا بَعِيدَةً عَنِ أَعْيُنِ قُرَيْشٍ وَطُعَاتِهِمْ وَمَجَالِسِهِمْ، فَاخْتَارَهَا النَّبِيُّ ﷺ لِيَجْتَمَعَ فِيهَا بِالْمُسْلِمِينَ فَيَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِ اللَّهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ، وَيُؤَدِّي الْمُسْلِمُونَ عِبَادَتَهُمْ وَأَعْمَالَهُمْ، وَيَتَلَقَّوْا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ وَهُمْ فِي أَمْنٍ وَسَلَامٍ، وَلِيَدْخُلَ مَنْ يَدْخُلُ فِي الْإِسْلَامِ وَلَا يَعْلَمُ بِهِ مِنْ أَصْحَابِ السُّطُورَةِ وَالنَّقْمَةِ أَحَدًا).

طَبَعِيٌّ وَبَدْهِيٌّ أَنْ الْمَنْهَجَ الَّذِي كَانَ يَعْلَمُهُ النَّبِيُّ ﷺ فِي دَارِ الْأَرْقَمِ مَا هُوَ؟

كِتَابُ اللَّهِ وَسُنَّةُ رَسُولِ اللَّهِ لَا يُخْلَطَانِ بِشَيْءٍ، فَهَذَا هُوَ الْمَنْهَجُ الَّذِي كَانَ يَعْلَمُهُمْ إِيَّاهُ فِي دَارِ الْأَرْقَمِ بْنِ أَبِي الْأَرْقَمِ، وَضَعَ لَهُمْ هَذَا الْمَنْهَجَ آيَاتِ اللَّهِ، وَأَحَادِيثُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَمِمَّا لَمْ يَكُنْ يُشَكُّ فِيهِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَوْ اجْتَمَعَ بِالْمُسْلِمِينَ عَلْنَاً لِحَاوَلِ الْمُشْرِكُونَ بِكُلِّ مَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْقَسْوَةِ وَالْغِلْظَةِ أَنْ يَحُولُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَا يَرِيدُ مِنْ تَزْكِيَةِ نَفُوسِهِمْ، وَمِنْ تَعْلِيمِهِمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ، وَرَبَّمَا أَفْضَى ذَلِكَ إِلَى مُصَادَمَةِ الْفَرِيقَيْنِ، بَلْ قَدْ وَقَعَ ذَلِكَ فِعْلًا، فَقَدْ ذَكَرَ ابْنُ إِسْحَاقَ أَنَّ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ كَانُوا يَجْتَمِعُونَ فِي الشُّعَابِ فَيُصَلُّونَ فِيهَا سِرًّا فَرَأَاهُمْ نَفَرٌ مِنْ كُفَّارِ قُرَيْشٍ فَسَبَّوهُمْ وَقَاتَلُوهُمْ، فَضْرَبَ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ رَجُلًا مِنْهُمْ فَسَالَ دَمَهُ، وَكَانَ أَوَّلَ دَمٍ هُرِيقَ فِي الْإِسْلَامِ.

مَعْلُومٌ أَنَّ الْمُصَادِمَةَ لَوْ تَعَدَّدَتْ وَطَالَتْ لَأَفْضَتْ إِلَى تَدْمِيرِ الْمُسْلِمِينَ  
وإِبَادَتِهِمْ، فَكَانَ مِنَ الْحِكْمَةِ أَنْ يَجْمَعَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى ذَلِكَ، وَكَانَ عَامَّةُ  
الصَّحَابَةِ يُخْفُونَ إِسْلَامَهُمْ وَعِبَادَتَهُمْ وَاجْتِمَاعَهُمْ، أَمَّا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَكَانَ  
يَجْهَرُ بِالدَّعْوَةِ وَالْعِبَادَةِ بَيْنَ ظَهْرَانِي الْمُشْرِكِينَ لَا يَصْرِفُهُ عَنْ ذَلِكَ شَيْءٌ، وَلَكِنْ  
كَانَ يَجْتَمِعُ مَعَ الْمُسْلِمِينَ سِرًّا نَظْرًا لِصَالِحِهِمْ وَصَالِحِ الْإِسْلَامِ.

